الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية
قسنطينة ومازونة نموذجا

مذكرة مُقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة ماستر
تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب: إشـــراف الدكتور:

- بشير عبد الستار بكار الدهمة

اللجنة المناقشة

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
نواصر نصيرة	أستاذ تعليم عالي	جامعة غرداية	رئيســـا
بكار الدهمة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
آل سيد الشيخ آسيا	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	عضـوا مناقشا

السنة الجامعية
1445-1444 هـ /2024-2023 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية
قسنطينة ومازونة نموذجا

مذكرة مُقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة ماستر

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب: **إشـــراف الدكتور:**

- بشير عبد الستار **بكار الدهمة**

اللجنة المناقشة

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
نواصر نصيرة	أستاذ تعليم عالي	جامعة غرداية	رئيســـا
بكار الدهمة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
آل سيد الشيخ آسيا	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	عضـوا مناقشا

السنة الجامعية

1444-1445 هـ /2023-2024 م

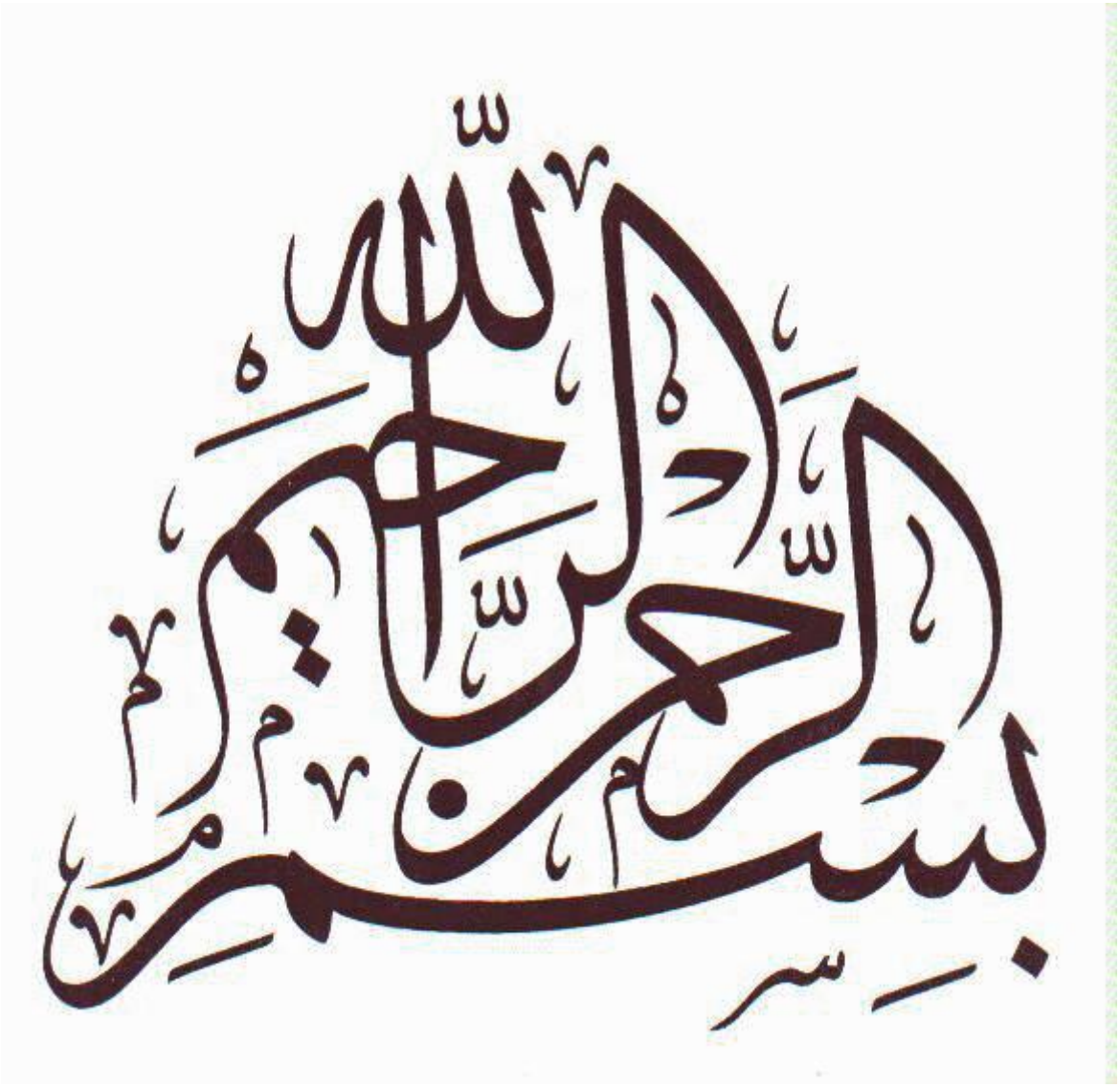
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بكل فخر واعتزاز، أهدي هذه المذكرة إلى والديّ الكريمين، الذين لا تفيهم الكلمات حقهم، فقد كانا لي الدعم والسند، أطال الله في عمرهما ورزقهما الصحة والعافية.

كما أهديها إلى زوجتي الفاضلة، التي كانت وما زالت مصدر إلهامي، وصاحبة الفضل الكبير في دعمي وتشجيعي طوال مسيرتي الدراسية والمهنية.

ولا أنسى بناتي العزيزات، اللواتي هن نبع الحنان وسر سعادتي، فليكن هذا العمل قدوة لهن في المثابرة والاجتهاد.

راجياً من الله أن أكون قد وفقت في تقديم ما يليق بحبكم ودعمكم الدائم لي.

شكر وعرفان

بعد إتمام هذا العمل الأكاديمي، أود أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجازه ودعمني خلال مسيرتي الدراسية.

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور المشرف الدهمة بكار، على توجيهاته السديدة ونصائحه القيمة التي كانت مناراً لي في كل خطوة. شكراً لكم على صبركم وإيمانكم بقدراتي.

وأعبر عن تقديري العميق للدكتورة بيشي ونواصر، على دعمها وتشجيعها المستمرين. لقد كانت نصائحهما العلمية والعملية حجر الأساس في إتمام هذه المذكرة.

ولا يسعني إلا أن أشكر الدكتور ناصر بلحاج، على ملاحظاته الدقيقة وإرشاداته المفيدة، والتي ساهمت بشكل كبير في تحسين جودة العمل.

كما أود أن أعبر عن شكري العميق لعبد الجليل ملاخ، لدعمه وتشجيعه الدائمين، والذي كان له أثر كبير في مسيرتي الأكاديمية.

وأخيراً، أتقدم بالشكر لأنس الحاج، على دعمه المستمر وتعاونه المثمر، والذي ساعدني على تجاوز العديد من التحديات.

لكم جميعاً، أسمى عبارات الشكر والتقدير، وأتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح.

قائمة المختصرات

المختصرات	اللغة العربية
ع	عدد
ص	صفحة
مج	مجلد
ط	طبعة

المقدمة

مقدمة

يمكننا القول إن تاريخ الجزائر الحديث شهد تطورًا حضاريًا غنيًا عبر فترات زمنية مختلفة، حيث أثرت كل فترة من هذه المراحل بخصائصها الفريدة على الهوية والثقافة الجزائرية. ومن بين هذه الفترات التاريخية المهمة، تبرز الفترة العثمانية بوصفها فترة تميزت بالتنوع الاجتماعي والثقافي البارز.

في ظل الحكم العثماني، كانت الجزائر تمتاز بتنوع ثقافي وتعدد حضاري يمتد ليشمل مختلف جوانب الحياة اليومية. فقد شهدت المجتمعات الجزائرية تعددًا عرقيًا وثقافيًا ودينيًا، حيث امتد التنوع ليتجاوز الحدود الجغرافية للمناطق العرقية والأثنية. وكان لهذا التنوع الثقافي والحضاري دور كبير في تشكيل الهوية الجزائرية الحالية وتأثيرها على المجتمع.

تركزت الفترة العثمانية على تعزيز التواصل الثقافي والديني، حيث عرفت الجزائر في تلك الحقبة نشاطًا ملحوظًا في مجال الرحلات العلمية والدينية إلى مختلف أنحاء البلاد والعالم الإسلامي. وقد أسهمت هذه الرحلات في استمداد المعرفة والثقافة من منابعها المتنوعة، وذلك برغم التحديات التي واجهتها من حملات التشويه والتحريف.

من الجوانب الملموسة لهذا التطور الثقافي هي دور المساجد والزوايا، التي حافظت على الهوية الثقافية الإسلامية الجزائرية وحمتها من التأثيرات الخارجية. وتعد هذه المؤسسات الدينية بمثابة محافظ للثقافة والتراث الإسلامي في البلاد، وقد أسهمت بشكل كبير في تعزيز الهوية الثقافية الجزائرية.

إن اختيار عنوان مذكرتي في تاريخ الجزائر العثماني وتحديد المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية، مثل قسنطينة و مازونة، يعكس الأهمية التاريخية والثقافية لهذه الفترة، ويفتح المجال لدراسة معمقة وشاملة لهذا الموضوع المهم.

مقدمة

تعريف الموضوع و أهميته :

تجسد الدراسات التاريخية للجزائر الحديثة أهمية كبيرة في فهم وتحليل العديد من الجوانب الحيوية للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في الفترة الزمنية المعنية. ومن بين هذه الجوانب، يأتي الجانب الثقافي كأحد الأبعاد الرئيسية التي تشكل أساساً للهوية والتطور في المجتمع.

خلال العهد العثماني في الجزائر، شهدت المراكز الثقافية تطورًا وازدهارًا لافتًا. كانت هذه المراكز، بما في ذلك المؤسسات التعليمية والدينية، وكذلك المراكز الثقافية الأخرى مثل المكتبات والمسارح، تعمل على نقل المعرفة وتعزيز التواصل الثقافي بين السكان.

تعدّ المؤسسات التعليمية من أهم المراكز الثقافية في هذه الفترة، حيث كانت تسهم بشكل كبير في نقل العلم والمعرفة وتعليم الشباب. بجانب ذلك، كان للمساجد والزوايا دور هام في تعزيز القيم الدينية والثقافية وتشجيع الناس على الالتزام بالتعاليم الدينية.

من خلال تحليل دور هذه المراكز الثقافية، يمكننا فهم الأثر الذي كان لها في تشكيل الهوية الثقافية للجزائر في ذلك الزمان. كما يمكننا استكشاف تأثيرها على التفاعل الثقافي والاجتماعي بين سكان المنطقة وتطور الحضارة في ذلك الوقت.

تتمحور موضوع الدراسة في استكشاف الأثر الثقافي والاجتماعي للحكم العثماني في إيالة الجزائر، مع التركيز بشكل خاص على المدن الرئيسية مثل قسنطينة و مازونة. تتضمن الدراسة تحليلًا لتطور المراكز الثقافية والتعليمية في هاتين المدينتين خلال الفترة العثمانية، مع التركيز على دورها في نقل العلم والثقافة، وتعزيز التواصل الثقافي بين سكان المنطقة. من خلال هذا النهج، يمكن للدراسة أن تسلط الضوء على الدور الحيوي الذي لعبته هذه المراكز في تشكيل الهوية الثقافية والتطور الاجتماعي في الجزائر العثمانية.

الإشكالية: **يمكن أن نلخص التساؤل الإشكالي في الآتي :**

- كيف كانت الأوضاع في المراكز الثقافية في مدينة قسنطينة و مازونة خلال العهد العثماني؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية نذكر منها ما يلي:

- ما هي أهمية المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة خلال الفترة العثمانية؟
- كيف كانت هذه المراكز تؤثر في تشكيل الهوية الثقافية والتاريخية لقسنطينة و مازونة؟

حدود الدراسة:

تضمّنت حدود دراسة الموضوع "المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية: قسنطينة و مازونة نموذجًا" العناصر التالية:

الإطار الزمني: الدراسة محصورة في الفترة الزمنية التي امتدت خلال الحكم العثماني، بدءًا من دخول العثمانيين إلى المنطقة و انتهاءًا بنهاية الفترة العثمانية **1519 1830**م

النطاق الجغرافي: يقتصر نطاق الدراسة على المناطق الثقافية ضمن إيالة الجزائر، مع التركيز على مدينة قسنطينة و مازونة كممثلين رئيسيين للمراكز الثقافية في تلك الفترة.

المراكز الثقافية: تحدد الدراسة المراكز الثقافية الرئيسية في قسنطينة و مازونة، مع التركيز على المؤسسات التعليمية والثقافية والمعالم الثقافية الهامة التي كانت موجودة في تلك المناطق خلال الفترة العثمانية.

أسباب الدراسة:

اعتمدنا على عّدة أسباب في اختيار موضوع الدراسة، حيث جمعت بين الأسباب الشخصية والموضوعية. تبرز أهمية التاريخ في فهم دور المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية كجزء أساسي من تاريخ البلاد وتطورها خلال تلك الفترة. بالإضافة إلى ذلك، يعكس اهتمامنا بالحفاظ على التراث الثقافي وفهم العوامل التي

ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية لسكان قسنطينة و مازونة خلال فترة الحكم العثماني.

بالإضافة إلى ذلك، تسعى الدراسة لفهم التفاعلات الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات المحلية والسلطات العثمانية وتأثيرها على حياة الناس في ذلك الزمان. وتمثل الدراسة إضافة مهمة إلى المعرفة الأكاديمية حول المراكز الثقافية في الجزائر العثمانية، مما يثري البحث العلمي في هذا المجال. وأخيرًا، يمكن استخدام نتائج الدراسة لتعزيز السياحة الثقافية في المنطقة ورفع الوعي بالتراث العثماني في الجزائر.

أهداف الدراسة:

أهداف الدراسة تتمثل في توضيح الأوضاع الثقافية خلال العهد العثماني، حيث يهدف الموضوع إلى فهم وتحليل البيئة الثقافية والتعليمية في فترة الحكم العثماني في الجزائر، وكيف تأثرت المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة بهذه الفترة. يسعى المشروع أيضًا إلى المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية من خلال إضافة معرفة جديدة ومفيدة، حيث يمكن للدراسة أن تشكل مصدرًا هامًا للباحثين والطلاب الراغبين في استكشاف تاريخ وثقافة الجزائر العثمانية.

تقديم صورة واضحة يعد هدفًا آخر للدراسة، حيث يهدف الموضوع إلى تقديم صورة شاملة وواضحة عن الظروف الثقافية والتعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية. ذلك يساعد على فهم أعمق للتاريخ والتطورات التي شهدتها المنطقة في ذلك الوقت.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر المشروع فرصة لتسليط الضوء على الجوانب الثقافية التي غالبًا ما تُهمش في الدراسات التاريخية، وذلك من خلال التركيز على المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة ودورها خلال العهد العثماني. تحليل هذه الجوانب يساعد في فهم أعمق للثقافة الجزائرية وتاريخها، ويسلط الضوء على الدور الهام الذي لعبته هذه المراكز في تشكيل الهوية الثقافية والتاريخية للمنطقة.

دواعي اختيار الموضوع :

تم اختيار موضوع الدراسة بناءً على دوافع ذاتية وموضوعية.

على الصعيد الذاتي، يرتبط اختياري للموضوع باهتمامي الشخصي بالتاريخ الثقافي للجزائر خلال الحقبة العثمانية، وهو جزء من الهوية الوطنية والثقافية التي أعتز بها. كما أنني أرغب في المساهمة في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري وتوثيقه للأجيال القادمة.

أما الدوافع الموضوعية، فتتعلق بأهمية دراسة هذه الفترة التي شهدت ازدهار المراكز الثقافية، والتي لعبت دورًا حيويًا في تشكيل الهوية الثقافية والتعليمية للجزائر. فهم التأثيرات الثقافية لهذه المراكز يساعد على كشف تأثيراتها على الحياة الاجتماعية والسياسية في تلك الحقبة، ويثري المعرفة الأكاديمية المتعلقة بالتاريخ الجزائري.

المنهج المتبع :

اعتمدنا خلال دراستنا على المنهج التاريخي كأساس في جميع الدراسات التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي لوصف بعض الأحداث الاجتماعية التي تتناسب مع طبيعة الموضوع. في هذه الدراسة، اعتمدنا على المنهج التاريخي كونه الأساس في كل الدراسات التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي استخدمناه لوصف مظاهر المجتمع المناسبة لطبيعة الموضوع. وقد استخدمنا أيضًا مناهج ثانوية أخرى مثل المنهج التحليلي، الذي ساعدنا في تحليل ودراسة بعض البيانات والآراء المتناقضة.

الدراسات السابقة :لقد استفدنا من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع دراستنا، حيث ساعدتنا في توضيح بعض الجوانب وتقديم رؤى متخصصة تفوق محتوى المراجع العامة. وفيما يلي قائمة ببعض هذه الدراسات:

1. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط بعنوان: "البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 13-16هـ/10-7م"، من إعداد الطالبة بوجلال نصيرة. تركز هذه الدراسة على ظاهرة بيوت العلماء في قسنطينة خلال العصر الحفصي من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، وتستعرض دور هؤلاء العلماء في التعليم والإمامة والقضاء والحركة العلمية والمشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

.2مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط بعنوان: "دور مدرسة مازونة الفقهية في الحركة العلمية أواخر العهد العثماني 1830-1518"، من إعداد الطالبة مستورة زينب.

.3مقال بعنوان "ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، للكاتب رشيد مريخي، الذي استعرض فيه أهم المؤسسات التعليمية والثقافية والمراكز الثقافية في الجزائر، مع الإشارة إلى العلماء البارزين في تلك الفترة.

.4مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط بعنوان: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م"، من إعداد الطالبة رشيدة شدري معمر.

.5مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط بعنوان: "الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني (1711م-1830)"، من إعداد الطالبتين بشير هـ عوينات وهادية عبابه.

هذه الدراسات السابقة ساهمت في توجيه دراستنا وتقديم إضاءة على جوانب محددة من الموضوع، كما ساهمت في توسيع فهمنا للسياق التاريخي والثقافي للجزائر العثمانية ومناطقها المختلفة.

الخطة المعتمدة:

لكي نتمكن من فهم والإجابة عن الإشكالية المتمحورة حول موضوعنا، قمنا بتقسيم بحثنا على النحو التالي:

المقدمة: سعينا جاهدين لتلبية متطلبات المنهجية في تقديم عرض شامل حول عدد من النقاط.

الفصل الأول: يحمل عنوان ***"المراكز الثقافية في قسنطينة"***، حيث قمنا بدراسة تاريخ قسنطينة العثمانية والمراكز الثقافية فيها، ومن ثم قمنا بتحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز في قسنطينة العثمانية.

الفصل الثاني : يحمل عنوان ***"المراكز الثقافية في مازونة"***، حيث درسنا تاريخ مازونة العثمانية ودور المراكز الثقافية فيها، ومن ثم قمنا بتحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز في مازونة العثمانية.

مقدمة

يُعتبر التحدّي من ضمن الخطوات الهامة في أي دراسة، وتجاوز الصعوبات يعزز القدرة على إنتاج النتائج القيمة والشاملة. في هذه الدراسة، واجهنا تحديات عديدة أثرت على سير العمل وتنفيذ الخطط المحددة. إليكم بعض الصعوبات التي وجهناها:

1. **ضيق الوقت:** كان لدينا وقت محدود لإنجاز البحث، مما استدعى ضبطاً دقيقاً للجدول الزمني وتحديد الأولويات بشكل فعّال لضمان استيفاء المهام بالكفاءة المطلوبة.

2. **كثرة المعلومات:** كانت المواد الواردة ذات طابع شامل ومتنوع، مما استدعى منا القيام بعملية انتقاء وتحليل دقيقة لتحديد المعلومات الأكثر صلة وأهمية للبحث، وهو أمر يتطلب الكثير من الوقت والجهد.

بالرغم من هذه التحديات، إلا أننا استطعنا التغلب عليها بفضل التخطيط الجيد والعمل الدؤوب، مما أتاح لنا تحقيق الأهداف المحددة للدراسة بنجاح.

الفصل الأول: المراكز الثقافية في قسنطينة

تمهيد

تعتبر مدينة قسنطينة مدينة أثرية تاريخية استقطبت العديد من الباحثين والمؤرخين، وألهمت الأدباء والشعراء في جميع أنحاء العالم بتنوعها وغناها الثقافي. يعود ذلك إلى موقعها الاستراتيجي المميز والتراث الحضاري القديم الذي تحمله. فقد تُعَدُّ قسنطينة "أم المدن" بالنسبة للناحية الشرقية بسبب موقعها الطبيعي المتميز. ونتيجةً لهذ الأهمية، فقد استمرت في الاحتفاظ بمكانتها المرموقة منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا.

سنبدأ بتقديم نبذة تاريخية عن قسنطينة العثمانية، ونسلط الضوء على الأحداث الرئيسية التي شهدتها المدين خلال تلك الفترة، مما يمكننا من فهم السياق التاريخي الذي نشأت فيه المراكز الثقافية.

ثم، سنقوم بدراسة المراكز الثقافية التي كانت موجودة في قسنطينة خلال العصر العثماني، بما في ذلك المساج والزوايا والمكتبات والأوقاف، وسنستعرض دور كل مركز ثقافي في تعزيز الثقافة والتعليم ونشر المعرفة في المدينة.

وفي النهاية، سنقوم بتحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز الثقافية في قسنطينة العثمانية، ونبحث في كيفية تأثيره على المجتمع المحلي وتطوره الثقافي والاجتماعي، وكيف ساهمت في بناء الهوية الثقافية للمدينة.

من خلال هذا الفصل، سنسعى إلى فهم الدور الحيوي الذي لعبته المراكز الثقافية في قسنطينة خلال الفتر العثمانية، وكيف ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية الغنية والمتنوعة لهذه المدينة العريقة.

1. تاريخ قسنطينة العثمانية

تعرف مناطق شمال إفريقيا، المعروفة أيضًا بالمغرب القديم، بتاريخها المتعدد العصور، حيث شهدت ظهور الإنسان في بداية العصر الحجري القديم من الفترة السفلى إلى الفترة المتوسطة، ثم تقدمت إلى مرحلة العصر الحجري الحديث حوالي 1200 قبل الميلاد.

قسنطينة، التي تعرف بتاريخها المتعدد، شهدت عّدة حقب مهمة، بدءًا من الفترة ما قبل التاريخ، ثم خلال الفترة النوميدية والرومانية. خلال فترة النوميد، استقرت مجتمعات في قسنطينة وقامت ببناء مستوطنات. أما خلال الفترة الرومانية، كانت تُعرف المدينة باسم "سيطيوس" واستمرت في الاستقرار لعدة قرون، من حوالي 32 ميلاديًا إلى 534 ميلاديًا.

في حوالي سنة 424 ميلاديًا، استرجع الروم البيزنطيون السلطة في شمال إفريقيا من الواندال، ومن بين المدن التي استعادوها كانت مدينة قسنطينة. خلال هذه الفترة، شهدت العديد من الثورات والمقاومات من قبل زعماء البربر، لكن تم قمعها بعد مقاومة شديدة. واستمرت هذه الحالة حتى ظهور الإسلام في أفريقيا حوالي سنة 645 ميلاديًا.[1]

سنركز فيما يلي على قسنطينة خلال الفترة الإسلامية تمهيدًا لاستكشاف تفاصيل أكثر حول تاريخ قسنطينة العثماني.

اولا، قسنطينة خلال الفتح الإسلامي

استمر الفتح العربي الإسلامي لمدة تقارب الخمسين سنة، حيث انقسمت هذه الفترة إلى مرحلتين: مرحلة الاستكشاف ومرحلة الفتح المنظم. بعد تولي عمر بن الخطاب حكم مصر في سنة 18 هـ / 640 م، بدأ النظر نحو الغرب، وفتح برقة وطرابلس في سنة 26 هـ / 647 م. في فترة خلافة عثمان بن عفان، نظمت حملة أخرى بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، استهدفت مصر ثم أفريقيا، ووصلت إلى القيروان،[2] حيث وضع عقبة بن نافع قدميه فيها.

ثم انتقلت الفتوحات إلى مدينة قسنطينة بقيادة أبو المهاجر دينار في سنة 67 هـ / 697 م، الذي نجح في فتح العديد من مدن المغرب الأوسط ونقل كرسي الولاية إلى مدينة ميلة. يجدر الإشارة إلى أن سكان المدينة أسلمو

[1] رشيد بورويبة ،***قسنطينة*** ، ط2 ، 2013م ،ص 53.
[2] عبد الله العروي، ***مجمل تاريخ المغرب***، ط 5 ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، 1996م ، ص121.

دون مقاومة، وهي تقع على بُعد حوالي 50 كيلومترًا من قسنطينة.[1] منذ ذلك الوقت أصبحت المدينة عاصم إقليمية وتابعة إدارياً وسياسياً للقيروان في فترة الولاة وحتى فترة الاغالبة في 800 م،[2] والفاطميين من سنة 92 هـ إلى 362 هـ.

دخلت المدينة تحت حكم بني زيري في الفترة من 362 هـ إلى 442 هـ، وتعرضت لهجوم من بنو هلا حوالي 462 هـ. ثم خرجت من تحت سيطرتهم لتدخل تحت حكم الحماديين من 119 هـ إلى 194 هـ. عندم سقطت بجاية في أيدي الموحدين، دخلت قسنطينة تحت حكمهم في 547 هـ / 1153 م، وظلت تحت سيطر الموحدين حتى أعلن أبو زكريا الحفصي استقلاله في سنة 626 هـ / 1228 م.

أهمية المدينة زادت في عهد الحفصيين الذين خلفوا الموحدين، فأصبحت قسنطينة بعد سقوط الموحدين أه مدينة بعد تونس وبجاية في المملكة الحفصية،[3] وازدادت أهميتها في مرحلة أخرى تحت حكم الأتراك.[4]

ثانيا، قسنطينة أثناء العهد العثماني

بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، سيطرت الإسبان على معظ المدن الساحلية الجزائرية. تلبيةً لدعوة الأهالي ومواجهة للتحرشات الأوروبية، وصل العثمانيون إلى مدين قسنطينة في سنة 1517م. تواجدهم في المدينة ساهم بشكل كبير في تطويرها، حتى أصبحت عاصمة لبايلك الشرق.

آراء المؤرخين اختلفت حول زمن دخول قسنطينة تحت سيطرة الأتراك. يُذكر أن النفوذ التركي بالمدينة استقر تدريجياً بين عامي 1520م و1555م. وفيما يلي آراء بعض المؤرخين:[6]

- **الأنبيري:** يرجح دخول قسنطينة تحت الحكم التركي في عهد خير الدين باشا سنة 927 هـ (1525م).

- **ابن دينار:** يعتقد أن قسنطينة لم تخضع للعثمانيين إلا بعد سقوط الحكم الحفصي حوالي عام 932 هـ.

---

[1] عبد القادر دحدوح ، ***قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية*** ، ط 1 ،نوميديا للطباعة والنشر ، 2015م ، ص81 .

[2] كمال غربي، ***المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية***، تلمسان ،2011م، ص 57.

[3] بورويبة رشيد، ***الدولة الحمادية تاريخها وحضارات***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1397ه-1977م.ص67.

[4] محمد الهادي لعروق، ***المرجع السابق***، ص40.

[5] البايلك في العهد العثماني يشير إلى الولاية، حيث كانت الجزائر تنقسم إداريا إلى ثلاث بلايات (أقاليم)، ويتولى حكم كل منها الباي. يُذكر ذلك في كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر" لمحمد بن عبد القادر الجزائري، في الجزء الأول، والذي تم طباعته في القاهرة بالمطبعة التجارية عام 1903، الصفحة 15.

[6] جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة- الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية) بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم سعودي يمينة نسخة محفوظة 22 مايو 2012 على موقع واي باك مشين.

– **ابن العطار**: يشير إلى دخول الأتراك المدينة سنة 925 هـ (1520 م)، وبعد أن احتلها حسن قائد خير الدير باشا، وخرجت من يده ثم استعادها العثمانيون في سنة 1534 م.

– **العنتري**: يذكر أن قسنطينة دخلت تحت الحكم العثماني في عهد فرحات باي سنة 1052 هـ.

– **عبد الرحمان بن محمد الجيلالي**: يعتبر أن قسنطينة دخلت تحت السيطرة العثمانية بعد وقعة القطن بين ميلة وقسنطينة سنة 1555م، ويرجح أن وجود الأتراك في المدينة يعود إلى عام 1535م، لكن لم يُحدد بالتحديد كيفية الغزو والاحتلال.

بعد تفكك المسلمين في دول شمال إفريقيا بسبب الضعف الذي أصاب الدولة المرينية في المغرب، والدولة الزيانية في الجزائر، و الحفصية في تونس، بدأت الدول الأجنبية تتدخل بهدف السيطرة عليها. هنا جاءت دور شخصيتين تاريخيتين انتزعهما أهل الجزائر للمساعدة، هما عروج وخير الدين بربروس، اللذان اشتهرا على سواحل البحر الأبيض المتوسط بفضل الحملات التي قادوها والانتصارات التي حققوها.

بعد وفاة عروج في الحرب التي دامت بين الطرفين، تولى أخوه خير الدين القيادة، وأصبح صاحب النفوذ الحقيقي في البحر المتوسط. دعا السلطان سليم واله إمارة الأسطول العثماني ليصبح حاكمًا للجزائر، وهكذا تمكنت الدولة العثمانية من وضع الجزائر تحت ولايتها، لتصبح الجزائر إيالة عثمانية في عام 1530.

قسنطينة كانت من بين المناطق التي استقروا فيها الأتراك بفضل موقعها الاستراتيجي. كانت ضمن أقاليم الإيالة الجزائرية، وكانت غنية بالثروات والموارد. تحدها أقاليم شمالًا وغربًا واد الصمار، وبني منصور، وبني عباس، وجنوبًا إقليم قسنطينة. أصبحت ملتقى للقوافل التجارية سواء كانت تأتي من الصحراء نحو الشرق أو من تونس نحو الغرب.[1] زادت أهميتها التجارية بفضل قربها من البحر والموانئ التابعة لبايلك الشرق.[2]

قيل عن قسنطينة: "*هي مدينة داخلية عريقة في التاريخ، ومكانة فعالة في الشرق الجزائري، ونقطة عبور مهمة لشتى الطرق التجارية*".[3] قام الأتراك ببناء أول قلعة في المدينة، وكانت تقع في سطح المقصورة، حيث كانت المركز الإداري.

---

[1] يمينة سعودي أعدت رسالة الماجستير في ***الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية***. العمل تم إعداده في كلية الآداب واللغات، جامعة الأخوة منتوري بقسنطينة، خلال السنة الجامعية 2005-2006م، ص25.

[2] أندري نوشي واخرون ، ***الجزائر بين الماضي والحاضر*** ، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1984م ، ص 247.

[3] فاطمة الزهراء قشي ، ***قسنطينة في عهد صالح باي البايات*** ، ط2 ، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2013م، ص20.

تناوب الحكم في قسنطينة بين الباي العثماني وشيخ العرب، حيث شهدت البايات فترات طويلة ومشهورة وأطول هذه الفترات كانت في عهد صالح باي (1774–1792)، حيث استمرت لمدة تقارب الـ 22 عامًا. خلال فترة حكمه، قام باي صالح بإعادة بناء أقدم معالم المدينة، وقام بإنشاء القصور والمنشآت الجديدة،[1] بما في ذلك بناء قنطرة جديدة للمياه. وبعده جاء أحمد باي،[2] الذي شهدت فترة حكمه اندلاع الاحتلال الفرنسي للجزائر، ورغ ذلك تمكن من البقاء في السلطة لأكثر من سبع سنوات، ويرجع الفضل في ذلك إلى ذكائه السياسي وقوة بايلك الشرق.[3]

عاشت قسنطينة فترة من الازدهار تحت حكم صالح باي، الذي كان يشجع الحركات العلمية والمشاريع العمرانية وكان يتبع آراء العلماء في إدارة المدينة. أنشأ مدرسة الجامع الأخضر في عام 1779م، وبنى المدرسة الكتانية في حي "سوق العصر"، وشيد العديد من الجسور وشق الطرقات.

على الرغم من أن دخول الحكم العثماني إلى قسنطينة كان بطريقة سلمية، بناءً على طلب السكان، إلا أر ذلك لم يمنع ظهور بعض الثورات الشعبية ضد الحكم العثماني. منذ سنوات حكم أحمد باي بن محمد الشريف لقسنطينة، بدأت تحرشات الفرنسيين بالمدن الساحلية لبايلك الشرق. استولت فرنسا على مدينة عنابة في عا 1832 م، وبعد ذلك على مدينة بجاية في عام 1833 م، واتجهت بعد ذلك نحو المدن الداخلية، مما أدى إلى سقوط قالمة في عام 1837 م. وقطعت فرنسا مدد السلطان العثماني إلى بايلك الشرق من الناحية البحرية وأحبطت وصول الذخيرة والأسلحة منه إلى قسنطينة.

لتضييق الخناق على أحمد باي في قسنطينة، تحالفت فرنسا مع إبراهيم الكريتلي في عنابة وفرحات بن سعيد في الزيبان، وهما من أكبر أعداء الباي. تآمر الجنرال برتران كلوزيل مع باي تونس ضد الحاج أحمد باي.

قامت فرنسا بتعزيز قوات كلوزيل بقوات من الجزائر ووهران وبجاية، وجعلت مدينة عنابة نقطة التقاء قواتها، حيث بلغ عددها أكثر من 7000 جندي. هاجم كلوزيل قسنطينة في 21 نوفمبر 1836 في ما يعرف بمعركة قسنطينة الأولى، وقاومه الفرنسيون بشراسة، لكنهم خسروا المعركة بخسائر تقدر بـ 453 قتيلاً و 304 جريحًا.[4]

بعد تكبد القوات الفرنسية خسائر كبيرة على يد الأمير عبد القادر، اضطرت إلى عقد معاهدة تافنة مع للتركيز على الجهة الشرقية. وقام القائد الفرنسي دامريمون بحملة لاحتلال قسنطينة، لكنه قتل فيها، وتولى قياد

[1] شوقي عطاء الله الجمل ،***أضواء جديدة على تاريخ قسنطينة*** ، مجلة الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، 1974م ، العدد 03، ص 80.
[2] أحمد توفيق المدني، الجزائر، د، س ، ن ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م ، ص231.
[3] مجلة بوليكرومي، ص15.
[4] لعروق محمد الهادي: ***مدينة قسنطينة***. ديوان المطبوعات الجامعية. 1984م. ص82.

الحملة الجنرال فالي. وعلى الرغم من تفوق القوات الفرنسية هذه المرة، إلا أن عدم تكافؤ القوتين أدى إلى سقوط المدينة.[1]

2. المراكز الثقافية في قسنطينة العثمانية:

المراكز الثقافية في قسنطينة خلال العهد العثماني كانت تتميز بروعة العلم والمعرفة، مما جعلها تنافس العواصم الأخرى في الجزائر، مثل الجزائر العاصمة ووهران، في تقديم الثقافة والمعرفة للمجتمعات المحيطة بها وللمجتمع الإسلامي بشكل عام. كانت قسنطينة مركزًا حيويًا للعلم والفكر والفن، وكانت تحظى بمكانة مرموقة في نشر الثقافة والفنون والعلوم في ذلك الوقت.

تُعتبر قسنطينة منبعًا للثقافة العربية والإسلامية الراقية، حيث كانت تستقطب العلماء والفلاسفة والأدباء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للتبادل المعرفي والفكري. كانت المدينة تشتهر بمدارسها العلمية الرائدة ومراكزها الثقافية المتميزة، حيث كان يدرس فيها الطلاب المناهج العلمية والدينية، ويتلقون العلوم الشرعية والعقلية و الأدبية.

أولا الزوايا :

خلال العهد العثماني، شهدت مدن وأرياف الجزائر ظاهرة بارزة هي انتشار الزوايا بشكل واسع، حيث كانت تقوم بدور مهم في المجتمع. كانت هناك عدة عوامل ساهمت في انتشار الزوايا، بدءًا من دور السلطة العثمانية التي كانت تشجع بناءها لتعزيز السيطرة على السكان، وذلك من خلال دور العلماء والطلبة في ربط المجتمع بالسلطة، مما ساهم في استقرار نظام الحكم لفترات طويلة. بالإضافة إلى الدور الأساسي الذي تأسست من أجله وهو نشر التعليم القرآني وعلوم الفقه ومبادئ القراءة والكتابة بين الجزائريين.

تحظى الزوايا بمكانة هامة بين مراكز الثقافة، حيث توفر التعليم للفئات الفقيرة من الطلبة في المدن وخاصة في الأرياف. نظرًا لعددها الكبير، أصبحت الزوايا تؤثر في المجتمع، سواء في الريف أو المدينة، من خلال دورها التعليمي والخيري والاجتماعي، ونشر قيم الإسلام وتعاليمه في الجزائر، بالإضافة إلى استضافتها للفقراء والمحتاجين والمسافرين.

[1] ***تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة بايات الشرق في الجزائر*** نسخة محفوظة 22 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

وفقًا لتعريف الأستاذ يحي بوعزيز رحمه الله، تعتبر الزاويا مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، تشمل بيوتًا للصلاة مثل المساجد، وغرفًا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية، وأخرى لسكر الطلبة، وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستخدم في أعمال الزاوية.

لعبت الزوايا دورًا هامًا في نشر الإسلام وحفظ لغة القرآن في مختلف بقاع العالم الإسلامي، حيث كانت تعتبر امتدادًا للمدارس والكتاتيب التي زخرت بها حضارتنا الإسلامية عبر العصور. في مدينة قسنطينة، كانت هناك العديد من الزوايا التي كانت تُكرّس جهودها لتعليم القرآن الكريم والدروس العلمية والصلوات المكتوبة ورُدت ذكرى هذه الزوايا في القرارات البلدية، وعلى الرغم من بعضها قد اندثر، إلا أننا لا زلنا نحتفظ بذكرياتها وتأثيرها في الحياة الثقافية والدينية للمدينة.

رغم أن المجال هنا لا يسمح بذكر كل الزوايا التي كانت موجودة في المدينة، إلا أننا سنركز على ذكر أهم هذه الزوايا والأدوار التي لعبتها خلال الفترة المذكورة، إذ نعتقد أن موضوع الزوايا يمكن أن يشكل دراسة مستقلة بحد ذاتها. من بين هذه الزوايا، يمكن أن نذكر:

1. زاوية سيدي عبد المؤمن:

الزاوية التي تعرف باسم سيدي عبد المؤمن تقع في شارع ملاح السعيد بمدينة قسنطينة، وكانت تقع في منطقة على سويقة بالقرب من باب الجابية، وهي منطقة كانت تشتهر بشوارعها الرئيسية التي كانت تمثل روابط بين أحياء المدينة خلال الفترة العثمانية، وتربط بين الجابية وباب القنطرة.[1]

تعتبر زاوية سيدي عبد المؤمن واحدة من الزوايا التي حفظت ذكرها في الكتابات الأثرية، وقد سجل اسم المجدد لهذه الزاوية وهو السيد صالح خوجة بن مصطفى، الذي يعتقد أنه كان صهرًا لإحدى الحفيدات لسيدي عبد المؤمن. ويعتقد أغلب الباحثين أن سيدي عبد المؤمن هو المؤسس الأول لهذه الزاوية.[2]

تتألف زاوية سيدي عبد المؤمن من طابقين رئيسيين، الطابق الأرضي والطابق العلوي، ويوجد المدخل الرئيسي للزاوية في الجهة الغربية منها. عند الدخول، يلاحظ الزائر سقيفة مستطيلة الشكل، ذات قسم علوي نصف دائري مزين بخطوط تتفرع منه، وتحت القسم النصف دائري يتواجد صنف مزخرف بنمط نباتي، ويحيط به أربعة قلوليات وصفيحة نصف دائرية بارزة، وتظهر زينة متماثلة على الجانبين. كما يتوسط الهيكل عمودان يرتفعان قليلًا عن سطح الهيكل ويحملان سطحية تتجاوز الجذع، وهما يوجدان على جانبي المحراب، وباب

[1] محمد المهدي بن علي شيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، 1980.ص170.
[2] كمال لغربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،ص123.

يؤدي إلى القبة. تتميز زاوية سيدي عبد المؤمن بمنظرها المثمن وزخرفتها البسيطة، واعتمادها على أربعة حنايا ركنية لتحقيق شكل مثمن.[1]

2. زاوية ابن نعمون:

زاوية ابن نعمون، المعروفة أيضًا باسم الزاوية التيجانية، تقع في نهج بيريقو

رقم 76 بناحية الشط بمدينة قسنطينة. تعتبر هذه الزاوية مركزًا دينيًا وثقافيًا مهمًا في المدينة، حيث تحتوي على مدافن لعائلة نعمون التي كانت من بين بايات المدينة. يُعتبر محمد شريف بن نعمون أحد أفراد هذه العائلة البارزين.

تُقام في زاوية ابن نعمون الصلوات الخمس والدروس الدينية والعلمية،[2] حيث يقوم العلماء والمشايخ بتقديم الدروس وشرح العلوم الشرعية للمسلمين. كما تعتبر مكانًا للتلاقي الاجتماعي بين أفراد المجتمع المحلي، حيث يجتمع الناس لأداء الصلوات والمشاركة في الأنشطة الدينية والاجتماعية.

تحتفظ زاوية ابن نعمون بتاريخ طويل من الخدمة للمجتمع المحلي، ولا تزال محافظة على دورها الهام في نشر العلم والدين وتعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

3. زاوية باش تارزي

تأسست زاوية باش تارزي على يد عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة، الملقب بباش تارزي، والذي وافته المنية في عام 1806.[3] كان باش تارزي من أتباع الطريقة الرحمانية في قسنطينة، ولم يكن مجرد ملم بالجوانب السلوكية لهذه الطريقة، بل كان يتمتع بمعرفة عميقة بأساليب التربية الخاصة بها.[4]

أسس باش تارزي هذه الزاوية بأمر من شيخه محمد بن عبد الرحمن الأزهري في نهاية القرن الثامن عشر وتقع في حي الشارع. تتبنى الزاوية الطريقة الرحمانية، وكانت مركزًا حيويًا للعلماء والمتعلمين. كما كانت تشكل وصلة مهمة بين بلاد القبائل والزوايا في الجنوب.

---

[1] المرجع، نفسه ص ص 170-171.
[2] عزيزة ك، زوايا مدينة قسنطينة منارة دينية ومعالم حضارية، جريدة المساء الجزائرية، 14 أفريل 2014، ص 09.
[3] محمد المهدي المرجع السابق. 256 م.
[4] فيلالي وآخرون المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، دار الهدى، عين مليلة الجزار 2012، ص 18.

قامت زاوية باش تارزي بمحاربة الفساد الأخلاقي ودعت إلى تحقيق التقدم وتوحيد الصفوف. كما أن له فروعًا متعددة بلغ عددها ثمانية، وكان عدد مريديها يتجاوز عشرة آلاف نهاية القرن التاسع عشر.[1]

4. زاوية الشيخ الفكون

زاوية الشيخ الفكون، المعروفة أيضًا بزاوية الجرازين،[2] تقع في حي الجرازين. كانت هذه الزاوية تُعرف باسم "التيجانية"، وذلك لتنقلها بين أفراد عائلة الفكون. كانت تعتبر مركزًا هامًا جذب الناس من كل مكان نظرًا لأهميته العلمية، حيث كانت تقدم دروسًا في مختلف العلوم الشرعية، بالإضافة إلى الحساب والنحو.

ومع ذلك، شهدت زاوية الشيخ الفكون تراجعًا في نهاية العهد العثماني فيما يتعلق بوظائفها الدينية والعلمية بالمقارنة مع ما كانت عليه في القرون السادس عشر والسابع عشر. كانت هذه الزاوية تضم مقابر لأفراد عائلة آل الفكون، بما في ذلك عبد الكريم الفكون الحفيد.[3]

5. زاوية بن رضوان

زاوية بن رضوان تقع في حي البرادعيين في قسنطينة. كانت هذه الزاوية تعتبر مقرًا للمحكمة الإباضية في المدينة. يُذكر أن المؤسس الأول لهذه الزاوية كان رضوان خوجة، الذي توفي في عام 1805.[4]

6. زاوية نعمان

زاوية نعمان كانت تحتوي على عّدة مقابر، واشتهرت بهذا الاسم نسبةً إلى الباي محمد نعمان، الذي حكم قسنطينة في الفترة بين عامي 1811 و 1813. ومع وصول الاحتلال الفرنسي إلى المدينة، تم هدم الزاوية وتحويل موقعها إلى مستشفى.[5]

7. زاوية التلمساني:

زاوية التلمساني تقع في نهج قسطنطين، وبعد الاحتلال الفرنسي، استولوا عليها وجعلوها تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، ثم تحولت إلى ملكية للراهبات، وفي عام 1880، استولى عليها اليهود.[6]

---

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الشيخ عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة، معقل العلم والقضاء والطريقة والجهاد، الشروق اليومية الجزائرية 28 أوت 2010، ص 11.

[2] الحرازين الحراز ، صنائع الخرز والخرار من حراته خباطة الجلد التمريد أنخلي المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية. ط1 ،مكتبة الشروق الدولية 2014،ص 247.

[3] سعد الله شرح الإسلام عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، من 45.

[4] محمد المهدي المرجع السابق، من 255.

[5] نفسه، ص 256.

8. زاوية الحضالة:

زاوية الحضالة، المعروفة أيضًا باسم زاوية النجارين، تقع في حي النجارين. يُقام فيها الصلوات الخمس ويُعلَّم فيه الأطفال القرآن الكريم، ومن بين مدرسي هذه الزاوية الشيخ عبد المجيد بسطانجي.[1]

ثانيا، المساجد

تعريف المسجد

لغة: يأتي لفظ "مسجد" من الجذر العربي "سجد"، ويعني بالمفهوم اللغوي مكان الخضوع والانكسار أمام الله. وقد كانت فعل السجود مألوفاً في عادات الأمم القديمة حيث كانوا يسجدون أمام عظمائهم وحكمائهم. ورغم أن الشريعة الإسلامية اعتمدت هذا الفعل، إلا أنها جعلته مختصاً بالله وحده، دون غيره.[2]

اصطلاحًا: المسجد هو المكان المخصص لأداء الصلاة، ويشمل ذلك أي مكان يتم فيه العبادة، فكل موضع على الأرض يمكن أن يُستخدم لأغراض الصلاة. ويأتي هذا التعريف استنادًا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"، مما يعني أن المسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم ويتعلمون فيه كل ما يساعدهم في تنظيم وتسهيل حياتهم.[3]

تسمية المساجد:

خلال العهد العثماني، اشتهرت تسميات متعددة للمساجد، حيث يُعزى بعضها إلى التوزيع الجغرافي في المنطقة أو إلى مهنة الحرفيين الذين يرتادونها، مثل "مسجد الشماعين" و"الخياطين" و "الحلفاويين" و "الكبابطية" ومن جهة أخرى، تُرتبط التسميات بأسماء الأشخاص، سواء كانوا من مؤسسي المساجد مثل "علي بتشين" و"عبد الله صفر"، أو من الرجال الصالحين مثل "سيدي عبد الله" أو "سيدي محمد الشريف". وفي بعض الأحيان، تكون التسميات تعبيرًا عن الموقع المميز للمسجد، مثل "مسجد البراني" الذي يقع خارج حصن القصبة، و"مسجد كتشاوة" الذي يأخذ اسمه من هضبة تسمى كتشاوة.

العناصر المكونة للمساجد:

---

[6] راوية جريدي وآخرون، الحياة الثانية في مدونة قسنطينة خلال العهد الثاني، مارك مشتر، جامعة محمد بوضياف، 2014-2015 المسيلة ص 22.
[1] محمد المهدي المرجع السابق، ص ص 257-258.
[2] طبارة عفيف : روح الصلاة في الإسلام ، ط8 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1978 ، ص 218.
[3] المرجع نفسه ، ص 218.

1. **بيت الصلاة:** يُعرف أيضًا بحيز الصلاة أو الظلة أو الرواق، ويعدُّ مكانًا مخصصًا لأداء الصلوات داخل المسجد، حيث يقف المصلون في صفوف متجانسة مُتجهين صوب القبلة. ويتميز بأشكال مختلفة، فقد يكون مستطيلاً أو شبه منحرف أو دائريًا.

2. **الصحن:** تمثل المساحة المفتوحة من داخل المسجد وتتصل بحرمه وأروقته وجدرانه الخارجية. في كثير من الأحيان، يحتوي الصحن على مصادر للمياه للوضوء، وقد يُزرع فيه أشجار أحيانًا، ويُستخدم أيضًا لاستيعاب المصلين إذا زاد عددهم عن طاقة المسجد.[1]

3. **القبلة:** تُعتبر مرجعية المسجد، حيث يتوجه المسلمون صوبها خلال الصلاة، وتكون جدار المسجد المُوجه نحو الكعبة هو القبلة.

4. **المحراب:** يشير إلى جزء خاص داخل بيت الصلاة يميزه انفراد الإمام بالوقوف فيه أثناء الصلاة.

5. **المنبر:** يعتبر المنبر مكانًا مرتفعًا داخل المسجد حيث يلقي الإمام خطبتي الجمعة والعيدين، ويُصنع عادةً من الخشب ويتميز بارتفاعه وعلوه.

6. **المآذن:** تُعتبر المآذن بناءً مرتفعًا يتصاعد إليه المؤذن لإعلان دخول وقت الصلاة، وتكون عادةً مزينة بزخارف وتتميز بشكلها الأنيق والمميز.[2]

الفرق بين المسجد والجامع:

الجامع، اصطلاحًا، يكون أكبر حجمًا من المسجد، حيث يُؤدَّى فيه الصلوات الجامعة والجمعة والأعياد بالإضافة إلى الصلوات الخمس اليومية. وقد يُطلق على بعض الجوامع تسمية "المسجد الجامع"، وتُعرف بعض هذه الجوامع أحيانًا بالمساجد الكبيرة أو المساجد الأعظم.

ويُشير بعض الباحثين إلى المساجد الفقط ثم يقسمونها إلى الكبيرة والصغيرة، حسب حجمها وسعتها، ويميزون بين المساجد التي تحتوي على صومعة مرتفعة وتلك التي لا تحتوي عليها، كما يميزون بين المساجد التي تحتوي على قبة أو أشكال معمارية مميزة وتلك التي لا تحتوي عليها.[3]

[1] مصطفى ابن حموش. (2007). "مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني". الطبعة الأولى. الجزائر: دار الأمة. صفحة 127.
[2] بن عامر، فضيلة. "المساجد ودورها التعليمي والثقافي في الجزائر في الفترة الحديثة". جامعة مليانة، 2018-2019، ص 109.
[3] المرجع نفسه ، ص 10-11.

المساجد تعدّ منارات الإسلام ورموزاً للوحدة بين المسلمين، إذ أوصى بها القرآن والسنة، حيث قال تعالى: ﴿***رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ***﴾ [1]{37}{36}

من هذا المنظور، لعبت المساجد دورًا حاسمًا في عملية التعليم، وهذا الدور استمر عبر العصور، حيث بقيت المساجد مركزًا رئيسيًا لتعليم المعارف. يُعتبر دور المسجد في التعليم الأصلي الذي نشأت عليه المدارس في العصور الأولى للإسلام، حيث كانت المساجد تستضيف حلقات العلم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

لم تكن المساجد مجرد أماكن لأداء الصلوات، بل كانت مراكزاً للمعرفة والثقافة. شهدت مدينة قسنطينة انتشارًا واسعًا للمساجد خلال عهد صالح باي، حيث بلغ عددها حوالي خمسة وسبعين مسجدًا وجامعًا، بالإضافة إلى سبعة مساجد خارج حدود المدينة.[3]

كانت هذه المساجد والجوامع لها دور كبير في حياة المجتمع، حيث كانت مركزًا للعبادة ومدرسة للوعظ والإرشاد الاجتماعي من خلال الخطب التي كانت تلقى فيها. كانت الرعاية بالمساجد بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فكانت تقريبا لا توجد قرية أو حي في المدينة بدون مسجد، حيث كان المسجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وكان قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، وكانت رابط بين أهل القرية والمدينة أو الحي؛ حيث كانوا جميعا يشتركون في بنائه و آداء الوظائف فيه.[4]

وقد لاحظ الرحالة الغربيون هذه الجوانب أيضًا، حيث كتب طوماس شاو عن المساجد، حيث ذكر:« *إن الإمام كان يصعد على المنبر يوم الجمعة، وهو يوم اجتماعهم الديني، لشرح بعض الآيات من القرآن الكريم، أو لحث المصلين على الرحمة والشفقة، والقيام بالأعمال الخيرية.*»[5]

تعود فترة نشأة المساجد في مدينة قسنطينة إلى الفترة السابقة للعهد العثماني، وتحديداً إلى القرن السابع الميلادي، أثناء الفتوحات الإسلامية التي شهدتها المدينة، وكذلك الجزائر وشمال إفريقيا بواسطة الفاتحين عقبة بن نافع وأبي المهاجر. يُعتقد أن هذه الفتوحات وقعت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / السابع

---

[1] سورة النور : الآية 37.

[2] رشاد عباس معتوق. "الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي". اطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1990 م، ص 211-212.

[3] Féraud L ; «les anciens établissements religieux musulmans de Constantine», in R A ,N°68,1868,p 129,130.

[4] سعد الله أبو القاسم، "تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (1031-1943م)"، الأجزاء 1 و 4 و 1، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، الصفحة 422.

[5] shaw (Tomas): voyage dans la régence d'Alger ,traduit de l'anglais par g. maccartthy, édition bouslama, éme édition, Tunis. p101. édition

الميلادي، ورغم عدم وجود توثيق دقيق لتاريخ وصول المسلمين إلى المدينة، فإنها عرفت نشاطًا وقفيًا كبيرًا خاصة في بناء المساجد. سنتناول فيما يلي أهم المساجد في قسنطينة ودور كل منها كمؤسسة وقفية وثقافية:

1. الجامع الكبير القسنطيني

الجامع الكبير هو الاسم الذي يعرف به اليوم، ويقع في بطحاء السويقة بشارع بن مهيدي على اليمين في اتجاه القنطرة القديمة، التي تربط المدينة بمحطة السكك الحديدية وحي الأمير عبد القادر. يُعتبر هذا الجامع من أقدم المساجد في قسنطينة،[1] حسب ما أشار إليه الأثري الجزائري رشيد بورويبة، ووفقًا للمصادر التاريخية، يقول إن الجامع الكبير القسنطيني بُني في عهد يحي الأمير الحمادي الأخير.[2]

بيت الصلاة في جامع المسجد الكبير يكاد يكون شكله مربعًا، حيث يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.30 مترًا، والجنوبي الغربي 22.30 مترًا، والشمالي الشرقي 22.2 مترًا. يتميز منبر الجامع الكبير القسنطيني المصنوع من الخشب والذي يقع على يمين المحراب، بتكوينه من درجات، ويحتوي على باب مزين بقوس مزخرف بزخارف نباتية. وفي المؤخرة منبر المسجد، يوجد مسند على شكل قوس نصف دائري، عليه كتابتير بالخط الكوفي، الأولى تحمل نص "*بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على* محمد"، أما الثانية فتحمل النصر التالي: "*على* محمد *وعلى آله*". يحتوي الجامع الكبير القسنطيني على مجموعة من النوافذ، والتي يبلغ عدده تسعة، ويضم أربعة أبواب خشبية مفتوحة في الجدار الفاصل بين بيت الصلاة والصحن.

من العلماء الذين سبق لهم التدريس في هذا المسجد، العلماء المشايخ الملي البوطالي المدفون بفناء المدرس الكتانية، ومدرسة صالح باي ملاصقا لقبره بحائط مقبرة الباي المذكور وأعضاء عائلته. ومن بين المشايخ الذير كانوا يدرسون في الجامع الكبير الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي، الذي تولى فيما بعد إدارة مدرس قسنطينة.

الشيخ عبد القادر المجاوي يعتبر بحق أحد الشخصيات الرائدة في النهضة الثقافية العربية في هذه المنطق قبل ظهور الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين وغيرهم، ورحمة الله عليهم أجمعين. وأما الشيخ محمد بر عيسى الشاذلي البوزيدي، فقد كان أول مدير عربي لمدرسة عربية فرنسية في العهد الاستعماري بقسنطينة مذ

[1] محمد المهدي بن علي شيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، 1980.
[2] رشيد بورويبة الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية تر: إبراهيم شبوح الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.1399هـ /1979م، ص55.

عام 1212 هـ / 1797 م حتى عام 1295 هـ / 1877 م،[1] وهو عالم جليل وأديب مشهور وشاعر مطبوع تغنت شهرته عن التنويه به.

2. جامع سوق الغزل

يقع جامع سوق الغزل أو جامع حسن باي شرق قصر أحمد باي، إلى الغرب من شارع ديدوش مراد. يعتبر بناء الجامع نتاج جهود الباي حسين بوكمية، الذي حكم بايلك قسنطينة بين عامي 1713 و 1736.[2] يُعتقد أن تاريخ تأسيسه يعود إلى عام 1741،[3] حسبما هو مسجل على اللوحة الرخامية التأسيسية الموجودة حاليًا في قصر أحمد باي.

يتميز المخطط العام للجامع بشكل مستطيل يتضمن مدخلين رئيسيين في الحائط الغربي، يفتحان على رواق عرضي يحتوي على بابين، الأول يؤدي إلى غرفة في الركن الغربي الجنوبي، والثاني يؤدي إلى ممر مخصص للنساء. كما يوجد بابان في الجدار الشرقي يؤديان إلى بيت الصلاة، وهو مستطيل الشكل بأبعاد 23.60 × 19.30 متر. يتكون بيت الصلاة من سبع بلاطات عمودية تتقاطع مع خمس بلاطات أفقية، مع صفوف من الأعمدة ذات القواعد والأبدان الأسطوانية، وتتوجها بعقود منكسرة ومتجاوزة تحمل سبعة عشر قبة، يحيط بها زخرفة معمارية متقنة. يوجد في بعض الأحيان أقبية متقاطعة في مواضع القباب، ويتقدم في منتصف جدار القبلة محراب نصف دائري مزين بزخارف جصية بديعة.

تتميز واجهة الجامع بعمودين من الرخام يتوسطهما تاجان يحمل عقدًا نصف دائريًا، مع زخارف جصية متنوعة، بينما يُزين الجدار العلوي في جانب القبلة بزخارف محكمة. يُكسو الجدار السفلي من القبة ببلاطات خزفية مزخرفة بأشكال و ألوان متعددة.

بالنسبة لباقي الجدران، فقد تعرضت لتغييرات كثيرة أثرت على أصالتها الفنية، حيث تم تغطيتها ببلاطات خزفية حديثة خالية من أي زخارف جصية. وبالإضافة إلى هذه التغييرات، فقد شهد المسجد تحولات في هيكله أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، خاصة عندما تم استخدامه ككاتدرائية. تم فتح الجدار الشرقي وتوسيعه لبناء قبة كبيرة مضلعة في مكانه، وأُضيفت غرفتان في ركني بيت الصلاة في هذه الناحية، بالإضافة إلى الرواق الذي وُضع خلف بيت الصلاة في الجهة الشمالية، والذي يصل إلى بيت الوضوء الذي يقع خلف القبة الكبيرة الجديدة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله محمد الشابتي المسلطيني الدراسة من خلال رسائله وشعره الشركة الوطنية القشر والتوزيع.الجزائر.1974ص17-18.

[2] ابن المبارك الحاج احمد. المصدر السابق، ص 20 - 23. انظر أيضا: ابن العنتري محمد الصالح)، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 71 - 72.

CHERBONNEAU.A, «Sur Une Inscriptions Arabes trouvée à Constantine», in: Annuaire de la société Archéologique de la province e Constantine, 1854-1855, PP.102-107.

أما صحن الجامع، فلم يتبق له أي أثر يُذكر الآن، ولكن وفقًا لما ذكره أحمد بن المبارك بن العطار في كتابه فإن المسجد كان يحتوي على صحن،[1] ومن الممكن أن يكون مكانه في الجهة الشرقية للجامع حيث ترتفع القب الكبيرة التي تم بناؤها من قِبل الاستعمار الفرنسي.

أما المئذنة، فليس من السهل التحدث عنها بالتفصيل، حيث يوجد حاليًا في هذا الجامع مئذنتان، إحداهما تقع في الركن الشمالي الشرقي، والثانية في الجهة الغربية، وكلاهما مربعة المسقط وهما مستحدثتان.

حسب الباحثين، خضع الجامع لتغييرات وتحديثات عديدة أثرت على أجزاء كبيرة منه. ومن بين الأساتذ الذين سبق لهم التدريس في جامع حسن باي، الشيخ محمد الطاهر الساحلي، الذي ولد في عام 1908 في بنِ خطاب بجيجل. حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ العلوم اللغوية والعقائدية، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة عا 1925م، حيث تخرج بشهادة التطويع بعد سبع سنوات من الدراسة. عاد إلى الجزائر ليباشر التعليم ويشارك في حركة الإصلاح، وكان من الداعمين لإنشاء مدرسة خاصة للبنات المسلمات. عين بعد الاستقلال أستاذًا ثانويً وإمامًا، وتوفي في 01 فيفري 1990م.

من بين الشخصيات التي تولت الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع، الدكتور بوجمعة جعلاب، وُلد في عا 1923 في ضواحي تاملوكة بولاية قالمة. نشأ في أسرة متدينة، وتعلم على يد الشيخ العلامة أحمد الحبيباتي، ث عاد إلى قريته لينشر علمه. وافته المنية في عام 1938م.[2]

3. الجامع الأخضر:

يقع الجامع الأخضر في وسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف، ويطل على شارع سيدي لخضر من الجه الغربية. لمعروفة سابقًا بشارع سيدي لخضر في فترة الاستعمار، وعلى الجهة الجنوبية كان يعرف بنهج الكامب في نفس الفترة. تم بناؤه في أواخر شهر شعبان 1156 هـ / أكتوبر 1743 م، على يد الباي حسين المدعو بوحنك، الذي حكم بايلك قسنطينة بين سنتي 1149 – 1168 هـ / 1736 – 1754 م.[3]

يُطلق اسم جامع سيدي الأخضر هذا على اسم الشيخ سيدي لخضر، الذي كان أول عالم يُعتبر مرجعًا دينيًا في المسجد، وبالتالي تم تسميته بهذا الاسم.

[1] ابن المبارك، الحاج أحمد. المصدر السابق، ص 30-31.
[2] نفسه،ص 125.
[3] للمزيد من المعلومات حول هذه القبور وأصحابها، انظر: معزوز (عبد الحق) ورياس (الخضر)، المراجع 200-198، 195-194، 168-167.

الجامع الأخضر، المعروف أيضًا باسم الجامع الأعظم أو جامع سيدي لخضر، كان من بين أهم المؤسسات الوقفية في المدينة خلال العصر العثماني. تمتد شهرته عبر جميع أنحاء الجزائر، وكان يحظى بشعبية كبير خلال تلك الفترة.

يتكون الجامع الأخضر من طابقين. الطابق الأرضي يحتوي على مجموعة من الحوانيت المتقابلة، مفصولة بفراغ يتجه من الشرق إلى الغرب، وفي وسطه الشمالي يوجد ساباط رواق يتفرع منه ممر يتجه عمودياً إليه. كما يوجد باب في الجدار الشرقي يؤدي إلى بيت الوضوء، وباب آخر في الجدار الغربي يؤدي إلى السلم الذي يصعد منه إلى الطابق العلوي. وفي نهاية الساباط الشمالي يوجد باب يفضي إلى ساحة أو صحن، تقع خلفه قبة ضريحية دفن فيها مؤسس الجامع إلى جانب الباي حسين بن حسن بوحنك والأمير حسن.

كما يوجد ساباط آخر يتفرع من الساباط الرئيسي، وهو يقع غرب الأول وبالتوازي معه، ويؤدي إلى طريق ثانوي خلف الجامع، وفي جداره الشرقي باب يفضي إلى السلم الصاعد إلى الطابق العلوي.

الطابق العلوي يتكون من بيت الصلاة، وهو يعلو الحوانيت و مقاساته (15.20 × 12.60 م). فتح في ضلعه الشمالي بابان، وعلى يمين ويسار الباب الأوسط توجد أربعة أساكيب عمودية.

بيت الصلاة يتكون من محراب نصف دائري، ويعلوه تاج من الطراز الحفصي،[1] وفوق الأعمدة توجد دعامات تحمل قباباً دائرية.

سقف الجامع مكون من قبتين، الأولى تتقدم المحراب والثانية تتوسط بيت الصلاة، وهما مشابهتان من حيث الشكل والزخرفة.

المئذنة تقع بجوار الركن الشمالي الغربي من بيت الصلاة، وهي مستقلة عن جدران الجامع. تتكون من قاعدة مربعة ترتفع بدم، يليها بدن مثمن، وفوقها جوسق مثمن يعلوه تاج من الطراز الحفصي.

4. جامع سيدي الكتاني:

يقع جامع سيدي الكتاني بالقرب من سوق العصر، ويعود تاريخ تشييده إلى سنة 1776م، وفقًا للنقش على اللوحة التأسيسية، وقد شيد هذا الجامع على يد صالح باي، الذي كان حاكمًا لبايلك قسنطينة في الفترة بين عامي 1771م و1792م.[2]

[1] بوروبية (رشيد)، قسنطينة، المرجع السابق، ص 109 . وحول النيجان الحفصية انظر: الدولاتلي عبد العزيز) مدينة تونس في العهد الحفصي تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981 ، ص 161.

يتميز جامع سيدي الكتاني بمساحته المستطيلة، ويتكون من طابقين، حيث يمكن الدخول إلى الطابق الأول من خلال أربعة أبواب، اثنان منها رئيسيان، يقع أحدهما في الجهة الغربية والآخر في الجهة الجنوبية الشرقية بينما تقع الأبواب الأخرى في الجدار الشمالي، حيث يطل أحدهما على الميضأة والآخر مخصص للنساء.

يضم الطابق الأول صحنًا مربع الشكل، تتوسطه نافورة، ويحيط به رواق مكون من ثلاثة أقسام، يطل على الرواق عدد من القاعات والحوانيت، ويحتوي على مقعد رخامي مقوس يشبه المحراب، ويحتوي على سلم مزدوج يصعد إلى الطابق العلوي. وفي أسفل السلم، وخلف المقعد، توجد الميضأة، والتي تتكون من ثلاثة أقسام مزودة حوضين للوضوء ومرافق صحية.

أما الطابق العلوي، فيضم بيت الصلاة، الذي يتميز بأعمدة رخامية مزينة بزخارف نباتية وهندسية، وسقف خشبي هرمي الشكل، وثلاث قباب متتالية تتقدم المحراب، مرصوفة بزخارف جصية.

توسط جدار القبلة محرابٌ مكون من سبعة أضلاع، حيث يتمتع الجزء السفلي منه بتغطية بلاطات خزفية، بينما يتزين الجزء العلوي بقبيبة ذات الزخارف المميزة، التي تشبه إلى حد كبير زخارف محراب جامع سوق الغزل وتشكل واجهة المحراب أربعة أعمدة، اثنان في كل جانب، يتوجها عقدٌ حدوي مزين بصنجات.

وعلى يمين المحراب يقع منبر رخامي يُعدُّ من أجمل المنابر الرخامية في الجزائر، حيث يتميز بزخارف غائرة وأخرى بارزة تمتزج بين الهندسة والزخرفة النباتية، وتأثرت بعض جوانبها بفن الباروك. يتكون المنبر من واجهة مزخرفة، يليها درج صاعد ينتهي بجلسة الإمام، وعند الجلسة ترتفع أربعة أعمدة يعلوها قبيبة مخروطية، وفي جانبي الجلسة يوجد بابان مزخرفان على أسفل الجلسة.

أما بالنسبة لبيت الصلاة، فيتوفر على خمسة أبواب خشبية، منها مصراعان بالجدار الشمالي الغربي، والباب الخامس يفتح على غرفة الإمام في الزاوية الشمالية الشرقية. وبالنسبة للجدران الأخرى، يتوفر على خمس نوافذ في الجدار الغربي، وأربع نوافذ في الجدار الجنوبي الشرقي. أما الجدار الشرقي فيفتقر إلى نوافذ لكونه حائطاً مشتركًا بين الجامع والمدرسة. وإضافة إلى بيت الصلاة، يتوفر الطابق العلوي على صحن يحيط به رواق مؤلف من أعمدة بعضها من الرخام والبعض الآخر من الجبس، وعلى جانب السلم الصاعد من الجهة الجنوبية يقع غرفة الإمام التي ذُكرت سابقًا، وفي الجانب الشمالي للسلم يوجد رواق يؤدي إلى ميضأة نسائية. ومن هذ

[2] للمزيد حول صالح باي، يُرجى الاطلاع على: ابن المبارك، (الحاج أحمد). المرجع السابق، صفحات 26 و 28. ابن العنتري، (محمد الصالح). فريدة منسية. المرجع السابق، صفحات 84-78. شعيب، (المحمد لمهدي بن علي). المرجع السابق، صفحات 376-386.

الميضأة يمكن الوصول عبر باب إلى المئذنة، التي تتميز ببنيتها الهندسية وجمالية زخارفها. داخل المئذنة، توج نواة مركزية اسطوانية خشبية تحيط بها سلم خشبي.

شهد جامع سيدي الكتاني عدّة تغييرات على مر الزمان، مثل غيره من معالم المدينة. بدأت أولى هذه التغييرات بيد الإمبراطور نابليون الثالث في عام 1861، حيث أثرت هذه التغييرات على واجهة الجدار الخارجي للقبلة.[1]

بالنسبة للعلماء الذين سبق لهم التدريس في جامع الكتاني، منهم:[2]

- **الشيخ العلامة محمد المكي بن سعد البوطالبي:** الشيخ العلامة محمد المكي كان شخصية بارزة وعالم ديني في ذلك الوقت. كان يشتهر بمعرفته الواسعة في الفقه الإسلامي وكان مدرسًا للفقه في عا 1850. كان يحصل على مرتب شهري بقيمة 125 فرنكا، وهذا يشير إلى أهمية و تقدير عمله كمعلم قبل أن يصبح مدرسًا، كان يشغل منصبًا في القضاء، مثل زميله الشيخ محمد.
- **الشيخ عبد القادر المجاوي:** الشيخ عبد القادر المجاوي هو عالم دين وفقيه بارز. ينتمي إلى العائل المجاوية، وهي قبيلة معروفة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى. ولد في تلمسان في عام 1264 هـ 1848 م. ينتمي إلى عائلة معروفة بالعلم والتعليم. كان له عّدة شيوخ في جامع القرويين، بما في ذلك الشيخ محمد العلوي القاضي فارس والشيخ كنون والشيخ محمد بن سودة وغيرهم. تلقى الشيخ عبد القادر المجاوي الإجازات والتأييد من هؤلاء الشيوخ، وتمكن من التدريس بإذنهم.[3]

وإذا كانت شهرة الجامع الأخضر قد بدأت في فترة بنائه وبداية الصلاة والتدريس فيه، فإن شهرته لم تنتهِ مـ انتهاء الحكم العثماني. فقد استمر هذا المسجد العتيق في أداء رسالته الدينية والتعليمية والثقافية، حتى في ظل فترة الاحتلال. تواصل المسجد جذب العديد من طلاب العلم، ولا يمكننا أن نقلل من قيمته عندما نقول إن هذ المسجد وغيره من مساجد المدينة لعبوا دورًا أساسيًا في الحفاظ على هوية المدينة الإسلامية.

فعلى مر العصور، قد توالت الأساتذة والعلماء الرفيعين الذين مروا بهذا المسجد، بمن فيهم العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المبارك القسنطيني. كان الشيخ أبو العباس أحد أبرز العلماء والقادة الروحيين في ذلك الوقت. قاد الطريقة الشاذلية وأسسها على أسس قوية من الشريعة الإسلامية، وقدم نصائح قيمة ودروسً مفيدة. قام بتأليف العديد من الكتب والأعمال البارزة في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم و معجزاته. وق

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 187.
[2] كمال لغربي، المرجع السابق، ص 105.
[3] نفسه، ص105.

كتب تعليقًا على شرح الأخضري الجوهرة المكنون، وألقى عدة قصائد وشغل منصب مفتي المالكية وخطيب الجامع الكبير. توفي في عام 1265 هـ.[1]

ثالثا، كتاتيب

كانت الأقسام المخصصة لتعليم الأطفال في بداية فترة تاريخية مهمة جداً،[2] حيث كانت تُشكل جزءاً أساسياً من نظام التعليم العام. وكانت هذه الأقسام عادة موجودة في المدارس الابتدائية، حيث كانت تُعرف عادة باسم "كتاتيب".[3]

الكتاتيب كانت توجد غالباً في أضرحة الأولياء والدكاكين، بالإضافة إلى بعض المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس.[4] كانت هذه الأقسام عادة ما تكون موجودة داخل الأضرحة والجامعات والمساجد، التي كانت تُعتبر مراكزاً ثقافية وتعليمية في العديد من المجتمعات. تُعتبر الكتاتيب الحجر الزاوية الذي خصص لتعليم الأطفال، وكانت تتواجد في مختلف الأحياء عموماً، كجزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للسكان، كمركز لتعلم القرآن والمعارف الدينية والثقافية الأساسية.

تعد الكتاتيب عادةً غرفًا أو مساحات مخصصة لتعليم الأطفال، وتكون متواجدة في جميع الأحياء، حيث تحمل عادة اسم الحي أو اسم الوقف الذي أسسها أو اسم المعلم المشرف عليها. و أطلق الشخص الذي يباشر عملية التدريس في الكتاتيب يُعرف بمؤدي الصبيان.

ومن الملاحظ أن الكتاتيب كانت تشكل مركزًا لتطوير المهارات الحياتية والاجتماعية للأطفال، حيث كانت تُعلِّمهم الأخلاقيات والقيم الإسلامية مثل الصدق والعدالة والتسامح وحسن التعامل مع الآخرين. كما كانت تسهم في بناء الشخصية الإسلامية للفرد، وتعزز لديه الانتماء إلى المجتمع الإسلامي والمسؤولية تجاهه.

و تعكس أهمية الكتاتيب أيضًا في توفير التعليم الديني للأطفال الجوانب الاجتماعية للمجتمعات التي كانت تعيش فيها، حيث كانت هذه المؤسسات تجمع بين الطلاب من مختلف الأعمار والخلفيات الاجتماعية، مما يعزز التواصل والتفاعل الاجتماعي بينهم ويُعزِّز التسامح والتعاون المتبادل.

---

[1] أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم غول، تعريف الخلف برجال السلف 1906-1907، طبعة بمطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، دت، ص 281.

[2] سعد الله أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي***، ج1،ص 276.

[3] بلقاسم محمد. "***المؤسسات الدينية التعليمية في الجزائر خلال الحكم العثماني***". المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المعاصرة، العدد 3، جامعة 1437 هـ / 2016 م، ص 218.

[4] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص213.

باختصار، كانت الكتاتيب ليست مجرد مراكز تعليمية بل كانت محورًا حيويًا في تشكيل الهوية الإسلامي والثقافية للأجيال الناشئة، وكان لها دور كبير في بناء وتعزيز القيم الإنسانية والاجتماعية في المجتمعا الإسلامية التقليدية.

رابعا، الاوقاف

تعريف الوقف:

لغة: الوقف في اللغة يأتي من مصدر الفعل "وقف"، ويعني الوقوف بشكل ثابت. وجمعه أوقاف، ويطلق لفظ "الوقف" في اللغة على سوار من العاج.[1]

يُستخدم "وقفت" في المعنى الحبس أو المنع، حيث يقال "وقفت كذا"، معناها حبسته. وفي لسان العرب، يُقال "حبس أحبس". ويأتي في مقاييس اللغة الواو والقاف والفاء من أصل واحد، حيث تعني "حبسا" و "أحبست" وتُفيد التمكن في الشيء، ثم يقاس عليه ويُستخدم في معان متعددة، مثل "وقفت الدابة" و "وقفت الكلمة" و "وقفت وقوفا". ويُستخدم "وقفت" في حال الضرورة، مثل "وقفت وقوفا".[2]

اصطلاحاً: هذا التعريف هو أحد أقرب التعاريف لمعنى الوقف، حيث يستمد مصدره من قول النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أصاب عمر بن الخطاب أرضاً في خيبر، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم يستفسره عنها فقال عمر: "أصبت أرضاً في خيبر ولم أصب مالاً قط، فما تأمر به؟" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إر شئت حبست أصلها وتصدقت بها." ثم تصدق عمر بتلك الأرض في الفقراء والقريبين والرقاب وسبيل الله وابر السبيل والضيوف، ولم يكن هناك إشكال في أن يأكل منها من تولى إدارتها بالمعروف، دونما أن يكون صدية متولياً فيها.[3]

انتشرت المؤسسات الوقفية في الجزائر بشكل أكبر خلال فترة حكم الأتراك، حيث عملوا على إقامتها في جميع الدوائر الإدارية التابعة للحكم العثماني، والتي استمرت من نهاية القرن الخامس عشر حتى بداية القرر التاسع عشر.[4] وتميزت هذه الفترة بزيادة الطرق الصوفية والزوايا، خاصة في المدن، حيث كان هناك ما يُعرف

[1] السيد سابق : فقه السنة ، ط1 ، دار الإعلام العربي ، مصر ، 2004 ،ص 106.
[2] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، ج18 ،دار صادر للنشر ، ط 6 ، بيروت ، 1997،ص969.
[3] ناصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية في الملكية و الوقف والجباية الفترة الحديثة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت2001،ص، 229.
[4] خير الدين بن مشرنن، ***"إدارة الوقف في القانون الجزائري"***، رسالة ماجستير في الحقوق، تخصص قانون الإدارة المحلية، كلية الحقوق، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2011-2012، ص. 11.
انظر أيضًا:
- صالح صالحي، نوال بن عمارة، ***"الوقف الإسلامي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة (عرض للتجربة الجزائرية في تسيير الأوقاف)"***، مجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد 01، جامعة ورقلة، ديسمبر 2014، ص. 159.

بالوقف الأهلي الذي كان يتقاسمه المؤسسات الدينية. أما في الأرياف، فقد سيطر الوقف الخيري، حيث كانت العائدات تذهب إلى المساجد والزوايا. ومن الملاحظ أنه في عام 1750 م، تضاعفت الأوقاف اثني عشر مر مقارنة بعام 1600 م، حتى بلغت 66% من إجمالي الممتلكات العقارية والزراعية.[1]

من خلال هذا، يُلاحظ أن العثمانيين آنذاك لعبوا دورًا هامًا في ترسيخ نظام الأوقاف في الجزائر عبر عد دوائر إدارية. ونظرًا لأهميتها في الحياة الاجتماعية للجزائريين، أصبح الالتزام بها ضروريًا، مما أدى إلى تطور نظام الأوقاف بسرعة وبنسبة لابأس بها خلال فترة 150 سنة.[2]

تساهم عّدة عوامل في انتشار الوقف في الجزائر. بالإضافة إلى الوازع الديني وحب الخير والعلم وإصلاحِ المجتمع، كانت هناك عوامل أخرى، من بينها دور المحبسين في توفير مصدر دخل دائم للأفراد الذين استرحموا وحفظ حقوق اليتامى والأرامل والقصر. إلى جانب ذلك، كان للوقف دورًا رئيسيًا في تعزيز مبدأ التعاون والتضامر وممارسة الخير، إذ يُعتبر الوقف صدقة جارية تُضاف إلى ميزان حسنات المساهمين فيه.

في القرن الثامن عشر، عانت الجزائر من ظروف صعبة أدت إلى تعسف الحكام، مما دفع الجزائريين إلى تحبيس أموالهم تحت اسم الحبوس (الوقف) لمنعها من التصرف أو الاستيلاء عليها من قِبل الهيئات التي كانت تستولي على الأملاك التي لا ورثة لها. هذا الوضع ساهم في انتشار الوقف بشكل كبير في تلك الفترة.[3]

أوقاف الحرمين الشريفين:

تاريخ تأسيس الأوقاف لصالح الحرمين الشريفين في الجزائر يعود إلى العصور الإسلامية الأولى. على الرغ من نقص المعلومات الدقيقة حول هذا العهد الأول في التاريخ الإسلامي في الجزائر، إلا أننا نعلم بوجود الأوقاف التي كانت مخصصة للحرمين الشريفين. تطورت هذه الأوقاف بشكل كبير خلال العهد العثماني، حيث أصبحت تلعب دورًا هامًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلاد.[4]

أموال أوقاف الحرمين الشريفين كانت تُوجَّه إلى فقراء مكة والمدينة كل سنتين، ولضمان وصول المداخيل بنسبة 58٪، كان يُرسل مبعوث شريف من مكة بواسطة أمير ركب الحجاز الحرمين الشريفين. وجدت قواعد

[1] عبد الرحمان بوسعيد، نفس المرجع، ص 29.
أنظر كذلك: خير الدين بن مشرنن، نفس المرجع، ص86
[2] أنظر أيضًا: محمود أحمد مهدي، ***"نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات الإسلامية)"***، البنك الإسلامي للتنمية. المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، الأمانة العامة للأوقاف (الكويت)، جدة، 1423 هـ، ص. 32.
[3] - للتفصيل أكثر في الإدارة الوقفية أنظر:
- خير الدين بن مشرنن، المرجع السابق، ص 89-93.
[4] عائشة غطاس : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، 2007 ،ص242.

مفصلة لأنواع هذه الأموال، تُرسَل بإسم داي الجزائر وتُختم بختم الحرمين، للدلالة على وصولها كاملة بعد عود وفد الحجيج إلى الجزائر العثمانية. كما كانت تُقدَّم الإعانات والمساعدات لأهالي الحرمين المقيمين بالجزائر، أو المارين بها، بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة.[1]

كانت أوقاف الحرمين الشريفين تتراوح ما بين عامي 1357 و 1558 ميلادية، وفقًا لما ذكره دوفو استنادًا إلى سجلات الأوقاف، ويمكننا تلخيص ذلك في الجدول التالي:

نوع الملكية	عددها	قيمتها بالفرنك الفرنسي
المنازل	840	26653.80 ف
الدكاكين	258	4278.60 ف
المخازن	33	449.7.0 ف
الأفران	11	102.60 ف
الطاحونات	6	97.50 ف
الفنادق	1	13د 5.70 ف
المقاهي	4	846.65 ف

مؤسسات الحرمين الشريفين في مكة والمدينة كان لها أهمية بارزة نابعة من مكانتها المرموقة في قلوب الجزائريين. فقد قاموا بتخصيص الكثير من ثرواتهم داخل هذه المدن المقدسة وخارجها، مما جعلها في مقدمة المؤسسات الخيرية. وبفضل نشاطاتها وسمعتها، تصبح مؤسسة الحرمين في مكة والمدينة من أبرز المؤسسات الخيرية، حيث تحتل مكانة مرموقة تشمل ما يقرب من ثلاثة أرباع إجمالي الأوقاف. ورغم أن بعض التصريحات قد تبدو مبالغاً فيها، إلا أن الوثائق تظهر أن أوقاف الحرمين الشريفين كانت تشكل الجزء الأكبر من الأوقاف بشكل عام.[2]

[1] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ،ص 56.
[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 84.

أوقاف الأندلسيين

مؤسسة أوقاف الأندلسيين كانت تُعتبر من قِبل أغنياء الجالية الأندلسية المقيمة في الجزائر. كانوا يقومور بتخصيص الأموال والممتلكات لصالح إخوانهم اللاجئين والفارين من الأندلس، وقد تزايد نفوذهم مع مرور الوقت وقد شجعتهم السلطات على إنشاء هذه المؤسسة بهدف تعزيز التضامن وخدمة الفقراء.[1]

يُذكر أن الجالية الأندلسية أو اللاجئين الأندلسيين وصلوا إلى الجزائر ابتداءً من سنة 1492، وقد أثروا في جميع جوانب الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة في المدن التي استقروا فيها، ومنها مدينة قسنطينة.[2]

أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف

الأشراف تشكل فئة مميزة في المجتمع الجزائري، حيث يمتلكون أوقافًا خاصة بهم. كان للأشراف نقابة خاصة تُعرف بـ"الأشراف"، وكانت الأوقاف التابعة للأشراف تُدار بوكالة خاصة. تعود معظم أوقاف هذه المؤسسات إلى أضرحة الأولياء الصالحين والمدارس والأشراف، حيث كانت مهمتها الأساسية تسديد التكاليف الجارية للمؤسسات التعليمية أو الدينية. وكانت الفوائض الناتجة عنها تُخصص لفقراء الأشراف وأوقاف بيت المال. توجد هذ الأحباس بكثرة في مختلف المدن، بما في ذلك مدينة قسنطينة.

أوقاف المرافق العامة (الطرق والعيون والسواقي)

تُعرف أيضًا بالمؤسسات غير الدينية، وتأتي إنشاؤها بدوافع دينية ورغبة في الثواب الجزيل عبر توفير الخدمات للمسافرين. قد تم إيجاد عدة أوقاف داخل مدينة قسنطينة وفي مناطق خارجها بهدف استخدام الأموال في صيانة وتطوير المرافق العامة مثل الطرق والعيون والسواقي.[3]

مؤسسة الأوجاق: أوجاق[4] الجند والثكنات

تعود جذورها إلى الجنود الذين تم ترقيتهم في الخدمة العسكرية. وكانت أهمية العقارات المخصصة في هذ الأوقاف تترتب على أهمية الترقية في الرتب أو الوظائف الإدارية التي يحصل عليها الجندي. وكانت عوائ

Saida Ben Chikh, Boulanouar L'Algérie par ses Archives, Du royaume de Tihert à la Colonitation (Ville-XXE siècles), dition, Alger, 2015. p 135.

Ibid, p 135

[3] ناصر الدين سعيدوني دراسات في الملكية العقارية .... المرجع السابق، ص 100.

[4] أوجاق كانون، موقد، فصيل من الجند، مكان خاص بالخضورات في البستان أنظر : محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية ع 117-118، دمشق، جوان 2012، ص 364.

الأوقاف تُستخدم في أمور ترفيهية مثل تقديم الهدايا من قبل مسؤول الوقف للجنود الذين ينتمون إلى الثكنات العسكرية.[1]

خامسا، المدارس

المدارس هي أماكن مخصصة لإلقاء الدروس،[2] وقد عرّف أبو راس الناصر المدرسة بقوله: «*المدرسة المتعارف عندنا الآن هي التي تهدف لدراسة العلم، أي تعليمه وتعلمه*».[3] في المرحلة الأولى للأطفال، كانت المواد التي تُدرس تشمل القراءة، الكتابة، والقرآن.[4] وعند الانتقال إلى المعاهد الكبرى، تُدرس مواد مثل الفقه التفسير، الذي يشمل أيضاً العقائد والأخلاق لتفسير القرآن والأحاديث، وعلم الحساب.

كانت الدروس تُلقى في المساجد الرسمية مثل المسجد الكبير في تلمسان. وفي الجزائر، كان هذا النوع من التعليم يُقدم في زاوية القليعة وزاوية ملیانة، وفي قسنطينة في مسجد سيدي لخضر.[5]

رغم عدم اهتمام السلطة العثمانية بالتعليم في قسنطينة، إلا أن حركة التعليم فيها استمرت بشكل عادي ولم تتعطل، بل حافظت على إرثها الثقافي الغني. وقد تميزت المدينة بوجود العديد من العلماء البارزين مثل الفكون كما كانت قسنطينة وجهة لطلبة العلم من داخل البلاد وخارجها، ومن بينهم محمد بن رشيد الزواوي، وأحمد بن تكفة، وحميدة بن باديس القسنطيني، ومحمد الفاسي، ومحمد السويسي الفاسي.[6]

تراوحت أعمار التلاميذ الذين ارتادوا المدارس بين السادسة والرابعة عشرة. عند بلوغ التلميذ سن الرابعة عشرة يكون قد أتم حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة، وفهم قواعد الدين، وأساسيات الحساب. في السنتين الأخيرتين، قد يتولى التلميذ الأكبر سناً دور مساعد المؤذن في تعليم الأطفال الأصغر منه. بعد هذا التعليم الأساسي، يسعى الطلاب لمواصلة تعليمهم في أماكن أخرى نظراً لافتقار الجزائر إلى المدارس العليا في تلك الفترة.[7]

---

[1] بن دفي سلوى المرجع السابق، ص 12.

[2] مي يوسف (محمد) ، نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، ط 1 ، منشورات الدراسات والبحوث المورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990 ، ص 193.

[3] الناصري (أبو راس)، عجائب الأسفار ولطائف الاخبار، مخطوط رقم 1632 ، المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة ص 105. (27) نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر، ط1، منشورات المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1971 . ص91.

[4] سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث 3. ش و نت الجزائر، 1988، ص 163.

[5] EMERIT (MARCEL), "L'Etat intelectuel et moral de l'Algerie en 1830", in R.T.S.M.P, 2 semestre 1954, p205.

[6] حسين بوخلود : عبد الكريم الفكونالقسنطيني حياته وآثاره (998ه - 1073ه) (1580. 1663م) ، -رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة السانية- وهران ، 2008-2009. ص49.

[7] أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الج ا زئر خلال العهد العثماني ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 م ، ص 15.

من بين المدارس التي اكتسبت شهرة واسعة في أواخر العهد العثماني في مدينة قسنطينة، تبرز المدرسة الكتانية التي أنشئت بجانب جامع سيدي الكتاني، والمدرسة الأخضرية التي أنشئت بجانب الجامع الأخضري.[1]

المدرسة الكتانية

تأسست المدرسة الكتانية على يد صالح باي في سنة 1189 هـ – 1775 م، وتم تسميتها تبركًا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني. قبل تأسيس المدرسة، تم بناء مسجد سيدي الكتاني الذي صرف عليه صالح باي أموالًا طائلة، وجعل له أوقافًا كثيرة. تعتبر المدرسة الكتانية مكملة للمسجد وامتدادً له، حيث خُصصت لهما أوقاف خيرية بلغت ستة عشر عقدًا، وفقًا لسجل صالح باي للأوقاف. كان هذا الباي يلحق مدرسة بكل مسجد يبنيه. تقع المدرسة الكتانية بجوار جامع سيدي الكتاني من الجهة الشرقية،[2] وتفتح على شارع بوهالي العيد.

كانت المدرسة الكتانية تمثل مستوى التعليم الثانوي والعالي، وكانت تضاهي المدارس الأجنبية المعاصر لها، مما جعلها تلعب دورًا كبيرًا في المجال الثقافي. استمرت المدرسة في هذا الدور حتى خلال العهد الفرنسي وما زالت قائمة إلى يومنا هذا.[3] اهتمت المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وشرح الحديث، وتعليم الفقه والتوحيد. بالإضافة إلى ذلك، كانت تدرس العلوم الطبيعية والتجريبية مثل علم الفلك، الحساب، الطب، وعلم الصيدلة للأعشاب.

ساهمت هذه المدرسة في رفع المستوى الفكري للسكان إلى درجة أن نسبة الأمية في قسنطينة كادت أن تنعدم في تلك الفترة. شهدت المدرسة ازدهارًا ثقافيًا لم يعرف له مثيل طيلة العهد العثماني في الجزائر. بالإضافة إلى التعليم، كانت المدرسة تقيم حلقات الذكر والوعظ في المناسبات الدينية، والتي كان يحضرها عامة الناس. (انظر الملحق رقم 8 و 10 وكذلك 11).

المدرسة الأخضرية

أسس صالح باي المدرسة الأخضرية سنة 1789 م.[5] بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية، في الطابق العلوي. تقع المدرسة في نهج سيدي لخضر ونهج بن صغير عبد الوهاب، المتصل برحبة الصوف. وفقًا للكتاب

[1] يحيى وعزيز : تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، دار البصائر ،الجزائر، 2009 م ، ص 156.
[2] قاصري محمد السعيد: " المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان" ،مجلة عصور الجديدة ،العدد 18. أوت 2015 م ، ص 156.
[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 284.
[4] قاصري محمد السعيد: المرجع السابق، ص 159.
[5] ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط 2،دار البصائر ،الجزائر، 2009 م ، ص 248.

التأسيسية المنقوشة على قاعة الدروس، تضمنت المدرسة عددًا كبيرًا من النصائح والإرشادات التي تدعو الطلبة إلى التفوق، الصبر، ومحاربة الأهواء، وتختتم بتاريخ بناء المدرسة.

تتميز مدرسة الجامع الأخضر بموقعها الفريد حيث تقع في الطابق العلوي، بينما يحتل الطابق السفلي الجهة الأخرى، ويتميز بطراز المعلق للعمارة و المدارس. يتم استغلال هذا الطابق السفلي لإنشاء دكاكين وبناء مرافق تابعة للمدرسة، بهدف تعزيز دورها الثقافي. لتحقيق هذا الهدف، أدخل صالح باي نظامًا دقيقًا يُلتزم به المدرسون والطلبة، ويُطبق على العاملين في الأماكن التعليمية والدينية.[1]

نظرًا للحرص الشديد الذي أبداه صالح باي خلال فترة حكمه على المجال الثقافي، شهدت مدينة قسنطينة ازدهارًا كبيرًا في هذا المجال لم تشهد له مثيلًا طوال العهد العثماني في الجزائر.[2]

اما بخصوص المعلمين في هذه المدارس فكانت حركة المعلمين داخل الجزائر نشطة ومستمرة بشكل ملحوظ، إذ لم يكن تكوين المعلمين محصورًا في مدرسة أو مدينة معينة. بل كانت شهرة المعلم أو المدرس هي العامل المحدد لمكانه، وكان الطلاب يتوجهون إليه حيثما كان، حتى لو كان ذلك بعيدًا. كان أولياء التلاميذ هم المسؤولون عن اختيار مؤدب أطفالهم، وكان لهم الحق في إعفاء المؤدب من وظيفته إذا شُك في كفاءته العلمية أو أخلاقياته، واختيار غيره، نظرًا لأنهم هم الذين عينوه لهذه المهمة التربوية والعلمية. لذا، كان المؤدب يخضع لرقابة أولياء التلاميذ والرأي العام، وليس لرقابة الحكومة.[3]

كان التعليم عند بعض رجال التصوف، وخصوصًا في الريف، يُعتبر نوعًا من العبادة والجهاد. أما أجور هؤلاء المعلمين، فكانوا يتلقونها في شكل هدايا وصدقات مثل الحلوى والملابس في مناسبات دينية معينة مثل شهر رمضان، والعيدين، وعاشوراء. وكانت مصادر هذه الهدايا والأجور هي الأوقاف. وقد خصص الباي محمد الكبير رواتب شهرية للمعلمين بغض النظر عن الأوقاف، وذلك من ميزانية الولاية. بالإضافة إلى ذلك، كان بعض المدرسين والأساتذة يتولون وظائف أخرى مثل وكالة الوقف، والإمامة، والخطابة، والقضاء، مما يمكنهم من جني أموال إضافية تتراوح بين مئة ومائتي فرنك سنويًا من الأوقاف.[4]

تتراوح أعمار التلاميذ المترددين على الكتاتيب والمدارس الابتدائية بين السادسة والرابعة عشرة. في سن الرابعة عشرة، يكون التلميذ قد تعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين والحساب، وقد يصبح مساعدًا للمؤدب في تعليم

[1] ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية ، المرجع السابق ، ص 248.
[2] قاصري محمد السعيد : المرجع السابق ، ص 159.
[3] ابو القاسم سعدالله، المرجع السابق،ص223.
[4] عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر1871-1914،رسالة لنيل الماجستير،دمشق،1985ص08.

الأطفال الأصغر سنًا. كان عدد التلاميذ في كل مدرسة يتراوح بين عشرين وثلاثين تلميذًا. على سبيل المثال في تلمسان، يوجد خمسون مدرسة تحتوي على نحو ألفي تلميذ.[1]

في قسنطينة، كان هناك تسعون مدرسة ابتدائية يزاولها حوالي 1350 تلميذ،[2] وهو نفس العدد تقريبًا في الجزائر العاصمة. هذا يشير إلى أن جميع الأطفال في سن الدراسة كانوا يجدون مقاعدهم في هذه المدارس. أما بالنسبة للبنات، فقد أشار شالر الذي عاش في الجزائر إلى أنهن كن يتعلمن في مدارس تديرها نساء.[3] شمل تعليم البنات القراءة والكتابة والقرآن الكريم وقواعد الدين و السلوك.

فيما يتعلق بالتعليم الثانوي، بلغ عدد الطلاب ما بين ألفين وثلاثة آلاف طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، أي بين ستة وتسعة آلاف طالب في البلاد كلها. وفي التعليم العالي، تراوح عدد الطلاب بين ستمائة وثمانمائة طالب في كل إقليم، مما يعني أن العدد الكلي للطلاب في التعليم العالي في الجزائر كان بين ألف وثمانمائة وألفين وأربعمائة طالب.[4]

وهكذا، بفضل الجهود المبذولة والاهتمام الكبير بالتعليم والثقافة من قبل صالح باي، أصبحت قسنطينة مركزًا رائدًا للإشعاع الثقافي والعلمي في الجزائر خلال العهد العثماني، تاركةً إرثًا تعليميًا استمر تأثيره على مر العصور.

3. الأثر الثقافي للمراكز الثقافية في قسنطينة العثمانية

منذ فترة طويلة، كانت مدينة قسنطينة واحدة من المراكز الثقافية البارزة في الجزائر العثمانية. تشتهر هذه المدينة بتاريخها العريق وتنوع ثقافتها، وكانت لها دور هام في نشر العلم والدين وتعزيز التفاعل الاجتماعي والثقافي في المنطقة. تعتبر المراكز الثقافية في قسنطينة، مثل الزوايا والمساجد والكتاتيب والأوقاف، من المؤسسات الرئيسية التي ساهمت في بناء الهوية الثقافية للمدينة خلال العهد العثماني.

فيما يلي سنحلل دور كل مركز ثقافي ومساهمته في نشر العلم والدين والثقافة في المدينة. كما سنركز على كيفية تأثير هذه المراكز في بناء المجتمع الثقافي والديني، وكيف أنها شكلت محورًا مهمًا للحوار والتبادل الثقافي بين سكان المدينة. يهدف هذا القسم من الدراسة إلى فهم الدور الحيوي الذي لعبته المراكز الثقافية في تشكيل الهوية الثقافية لقسنطينة العثمانية وتراثها الثقافي.

---

[1] [1] عبد القادر حلوش،، المرجع نفسه،ص09.

[2] ابو القاسم سعدالله،ص226.

[3] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1830-1896) الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984 ،ص49.

[4] ابو القاسم سعدالله، المرجع السابق،ص249.

يمكن القول ان المساجد تعتبر من أبرز المنشآت المعمارية في المدن الإسلامية، فهي ليست مجرد مبانٍ بل تمثل الروح والجوهر للشريعة الإسلامية ومعقل العقيدة الإسلامية[1]. يعود تاريخ المساجد إلى بداية ظهور الإسلام حيث بدأت الدروس الدينية فيها منذ البداية واستمرت عبر السنين والقرون في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

تلعب المساجد دورًا مركزيًا في الثقافة الإسلامية، حيث كانت الدروس الأولى تركز على تعليم الإسلا وتوجيه الناس في الشؤون الدينية. تمثل المساجد مركزًا حيويًا لنقل المعرفة وتبادل الثقافة، حيث يتم فيها دراس الفقه والتفسير ورواية الحديث بشكل مستمر ومنتظم.[2]

بفضل هذه الدورات الدينية المستمرة في المساجد، أصبحت هذه المنشآت مراكز ثقافية حيوية تسهم في نشر العلم وتعزيز الوعي الديني للمجتمعات الإسلامية. فضلاً عن توفير المكان المناسب لأداء الصلوات والعبادات الدينية، تشكل المساجد منبرًا لنشر القيم والأخلاق الإسلامية وتعزيز التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع.[3]

ومن اللافت للنظر أن الرحالة الغربيين الذين سافروا وزاروا المساجد في العصور القديمة قد لاحظوا أهمي المساجد كمراكز حيوية للحياة الدينية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية. على سبيل المثال، ذكر الرحال طوماس شاو : «*أن الإمام كان يصعد على المنبر يوم الجمعة، يوم اجتماعهم الديني، لشرح بعض الآيات مز القرآن الكريم أو لحث المصلين على الرحمة والشفقة والقيام بالأعمال الخيرية*».[4]

وتتباين الإحصاءات حول عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال الفترة العثمانية، حيث توجد تقديرات تختلف فيها بين المساجد القديمة التي تأسست قبل العهد العثماني وتلك التي أنشأت خلاله. على سبيل المثال التمغروطي في وصفه لمدينة الجزائر في القرن السادس عشر، اكتفى بذكر أن هناك "الجامع الكبير" وهو واسِ ويتبع المذهب المالكي، ويضم ثلاثة أقسام للصلاة، حيث يخصص أحدها للترك والآخر للعرب بقيادة إما حنفي.[5] و من هذا يظهر أن المساجد في ذلك الوقت لم تكن سوى عدد قليل، وتمثلت في المساجد الكبيرة مثل الجامع الكبير وغيرها، وكانت هذه المساجد تلعب دورًا حيويًا في تعزيز العبادة وتوجيه الناس في الشؤون الدينية في تلك الحقبة.

Danial noman , Islam Europe and empire , at the university prex edintrech , page 23

[2] بن سحنون محمد، أداب المعلمين، تقديم وتحقيق عبد المولى، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر بدون تاريخ ص3.

[3] عمامرة تركي ا ربح، رسالة المسجد في المجتمع الجزائري حوليات جامعة الجزائر ، العدد 16 السنة 0477 0473 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 7.

Shaw (Tomas): voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par g. maccartthy, édition bouslama, 2éme édition, unis. p101

[5] سعد الله أبو القاسم المرجع السابق، ص 42.

إلى جانب المساجد والزوايا والكتاتيب والأوقاف، ساهمت العديد من المؤسسات الأخرى في تعزيز الثقاف والتعليم في قسنطينة خلال العهد العثماني. كانت المكتبات العامة والخاصة من بين المعالم الثقافية البارزة في المدينة، حيث ضمت مجموعة واسعة من المخطوطات والكتب في مختلف العلوم والفنون، مما أتاح للطلاب والباحثين الوصول إلى مصادر معرفية غنية ومتنوعة. كانت المكتبات تُعد مكانًا للتعلم والتبادل الفكري، وساهمت في نشر العلم والمعرفة بين سكان المدينة.[1]

من بين الوسائل التعليمية البارزة في قسنطينة كانت الحلقات العلمية، التي تُعقد في المساجد والزوايا وحتى في منازل العلماء. يجتمع الطلاب في هذه الحلقات للاستماع إلى الشروح والمناقشات حول مختلف المواضيع الدينية والعلمية، مما يعزز الفهم العميق للعلوم الشرعية واللغوية ويشجع النقاش الفكري والتبادل المعرفي.

بالإضافة إلى دورها الاقتصادي، كانت الأسواق التجارية في قسنطينة تُعتبر مراكز ثقافية واجتماعية هامة. في الأسواق، كان يتم تبادل الكتب والمخطوطات، وتُعقد جلسات النقاش الفكري، مما ساهم في تعزيز الوعي الثقافي بين التجار والزوار. كما كانت الأسواق تُشكل مكانًا للتعارف وتبادل الأفكار بين الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية.

كانت المجالس الأدبية والفكرية تُعقد بانتظام في قسنطينة، حيث يجتمع العلماء والأدباء والشعراء لتبادل الأفكار والمناقشات الأدبية والفلسفية. ساهمت هذه المجالس في إثراء الحياة الثقافية والفكرية للمدينة، ونشر الأدب والشعر، وتعزيز الروابط بين المثقفين.

الفنون والحرف التقليدية كانت جزءًا لا يتجزأ من الثقافة القسنطينية. شملت هذه الفنون الحرف اليدوية مثل النسيج، التطريز، صناعة الفخار، والنقش على الخشب. كانت هذه الفنون تُعبر عن الهوية الثقافية للمدينة وتُسهم في الحفاظ على التراث التقليدي، فضلاً عن تعزيز الجانب الجمالي في الحياة اليومية لسكان قسنطينة.

بالإضافة إلى الأوقاف التعليمية، كانت هناك أوقاف اجتماعية تهدف إلى تقديم الخدمات الاجتماعية والرعاية للفئات المحتاجة. شملت هذه الأوقاف توفير الدعم المالي للطلاب الفقراء، وإنشاء المرافق الصحية، وتقديم المساعدات للأرامل والأيتام، مما ساهم في تعزيز التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في المدينة.

[1] المرجع نفسه،ص 65.

أصبحت قسنطينة مركزًا رائدًا للثقافة والعلم خلال العهد العثماني. لقد ساهمت هذه المؤسسات في إثراء الحياة الثقافية والتعليمية للمدينة، وتعزيز الهوية الثقافية لسكانها. تستمر آثار هذه الفترة في التأثير على قسنطينة حتى اليوم، حيث تظل المدينة رمزًا للإشعاع الثقافي والمعرفي في الجزائر.

خاتمة الفصل

في هذا الفصل، لقد قمنا بتقديم نظرة عامة على التاريخ العثماني لمدينة قسنطينة، مع التركيز على الأحداث الرئيسية والفترات الزمنية الهامة التي شهدتها المدينة خلال تلك الحقبة. بدأنا بتوضيح السياق التاريخي لعهد العثماني وتأثيره على التطور الاجتماعي والثقافي في المنطقة.

من ثم، قمنا بتحليل المراكز الثقافية التي كانت موجودة في قسنطينة خلال تلك الفترة، والتي تشمل الزوايا والمساجد والكتاتيب والأوقاف. استعرضنا دور كل مركز ثقافي في نشر العلم والثقافة وتعليم الدين، وكيف أن هذه المراكز كانت تمثل محورًا مهمًا للتعليم والتوجيه الديني في المدينة.

في الختام، يمكننا القول إن قسنطينة كانت في العهد العثماني مركزًا رائدًا للثقافة والعلم. فلقد لعبت المؤسسات التعليمية والثقافية دورًا محوريًا في إثراء الحياة الفكرية والاجتماعية في المدينة. ولا تزال آثار هذه الفترة تتأثر في قسنطينة حتى اليوم، مما يجعلها رمزًا للإشعاع الثقافي والمعرفي في الجزائر.

الفصل الثاني: المراكز الثقافية في مازونة.

تمهيد

يشكل التاريخ الثقافي لمدينة مازونة العثمانية علامة ومحطة هامة في تاريخ المدينة، حيث شهدت فترة عصر الدولة العثمانية تطورًا ثقافيًا ملحوظًا. في هذا الفصل، سنستكشف دور المراكز الثقافية في مدينة مازونة خلال الفترة العثمانية، ونحلل الأثر الثقافي الذي تركته هذه المراكز على المدينة.

سنبدأ بتتبع تاريخ مازونة العثمانية والأحداث الرئيسية التي شهدتها المدينة خلال تلك الفترة، مما سيساعدنا على فهم السياق التاريخي الذي نشأت فيه المراكز الثقافية.

ثم سنتناول دور المراكز الثقافية في مازونة العثمانية، بما في ذلك المساجد والزوايا والمكتبات والأوقاف، ونسلط الضوء على كيفية تأثير هذه المراكز في نشر العلم والثقافة وتعزيز التعليم في المدينة.

وأخيرًا، سنقوم بتحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز الثقافية في مازونة العثمانية، ونبحث في كيفية تأثيرها على المجتمع المحلي وتطوره الثقافي والاجتماعي.

من خلال هذا الفصل، سنسعى إلى فهم الدور الحيوي الذي لعبته المراكز الثقافية في تشكيل الهوية الثقافية لمازونة خلال الفترة العثمانية، وكيف أثرت تلك الفترة على الحاضر والمستقبل من خلال تراثها الثقافي المتنوع والغني.

1 . تاريخ مازونة العثمانية

مدينة مازونة تُعدّ واحدة من أبرز المدن التاريخية في الجزائر، وقد ارتبط اسمها بالإشعاع الحضاري والديني خلال العصور الحديثة، ولا سيما خلال الحقبة العثمانية، حيث كانت عاصمة لبلاد الغرب الجزائري. لقد تميّزت بموقعها الاستراتيجي، حيث كانت تقع على مفترق الطرق التجارية التي تربط المدن الداخلية بالسواحل. هذ الموقع منحها دورًا مهمًا في تنشيط حركة القوافل التجارية، مما أسهم في ازدهارها الاقتصادي والاجتماعي .

إلى جانب أهميتها التجارية، اشتهرت مازونة بأنها مركز علمي وديني، حيث احتضنت العديد من العلما والفقهاء الذين لعبوا دورًا كبيرًا في نشر المعرفة، خاصة الفقه المالكي، الذي كان المذهب السائد في المنطقة ومن أبرز ما ميز المدينة خلال العهد العثماني، المدارس العلمية والزوايا، التي أصبحت مقصدًا للطلاب من مختلف أنحاء الجزائر وشمال إفريقيا .

تعددت التفسيرات حول أصل تسمية "مازونة"، بين الروايات الشفوية والكتابية. فمن التفسيرات الشائعة أن الاسم ذو أصل بربري ويعني "أرض الرجال الأقوياء"، مما يُشير إلى شجاعة سكانها ودورهم في مقاومة الغزاة رواية أخرى تربط الاسم بقصة ملك وابنته "زونا"، التي يُقال إنها أعطت للمنطقة اسمها عندما ارتبط بالينبوع الذي حُرِم الغريق من الوصول إليه. وهناك تفسير آخر يشير إلى وجود ملكة كانت تحكم المنطقة وتشتهر بامتلاكها كنزًا من النقود يُطلق عليه "موزونة"، مما يربط التسمية بالثراء والقوة .

خلال العهد العثماني، اكتسبت مازونة طابعًا مميزًا بوصفها مركزًا سياسيًا وإداريًا، حيث كانت مقر الباي الذي حكم المنطقة. إضافة إلى ذلك، كان لها دور كبير في تعزيز المقاومة الشعبية ضد القوى الاستعمارية، مما يعكس مكانتها الوطنية في تاريخ الجزائر .

بفضل مازونة، تُبرز الجزائر نموذجًا للمدن التي جمعت بين التأثير السياسي والديني والثقافي، مما يجعلها إحدى الحواضر التاريخية التي تستحق الدراسة والتوثيق.[1]

لفهم أهمية مدينة مازونة، يجب التعمق في موقعها الجغرافي المميز. تقع مازونة في منطقة تجمع بين الغرب والوسط الجزائري، مما جعلها تلعب دورًا استراتيجيًا في دعم المناطق الجبلية المجاورة، فضلًا عن كونها نقط دخول أساسية إلى المنطقة الغربية من الجزائر. تبعد المدينة حوالي 200 كيلومتر عن مدينة وهران، التي تُع عاصمة الإقليم الغربي، وحوالي 66 كيلومترًا عن مركز ولاية غليزان، ما يجعلها على اتصال وثيق بالمراكز

[1] بوغرارة، "موعد البحث عن الحلقة المفقودة"، جريدة الخبر، الجزائر، 13 يونيو 2001م، صفحة 19.

الحضارية الرئيسية في المنطقة. إضافة إلى ذلك، تبعد مازونة حوالي 230 كيلومترًا عن العاصمة الجزائرية ومسافة 55 كيلومترًا عن قرية "القلتة" الساحلية، مما يربطها بالمناطق الساحلية ويدعم نشاطها التجاري.

يتأثر مناخ مازونة بموقعها الفلكي والجغرافي، مما يمنحها مناخًا انتقاليًا بين البحر المتوسط والمناخ القاري تشهد المدينة شتاءً باردًا وممطرًا، بينما تكون فصول الصيف حارة وجافة. هذا التنوع المناخي ساعد على تشكيل غطاء نباتي كثيف، يشمل أشجار الزيتون والتين وبعض المحاصيل الموسمية، مما جعل الزراعة نشاطًا اقتصاديًا أساسيًا في المنطقة. كما يُعتبر المناخ مناسبًا لتربية المواشي، وهو نشاط يعتمد عليه سكان المنطقة بشكل كبير في معيشتهم اليومية.

ساعد الموقع الجغرافي على جعل مازونة محطة تجارية هامة عبر العصور، حيث استفادت من قربها من الطرق التجارية التي تربط المدن الساحلية بالمناطق الداخلية. أما المناخ المتنوع، فقد أثر على نمط حياة السكان المحليين، إذ جعلهم يعتمدون على الموارد الطبيعية للمنطقة في أنشطتهم اليومية، مما عزز استدامة الحياة الريفية في مازونة عبر القرون. بفضل هذه الخصائص، حافظت مازونة على مكانتها كواحدة من أهم المدن التاريخية والاقتصادية في الجزائر، مما يبرز أهمية استكشافها ودراسة تأثيرها على المنطقة بأكملها.[1]

تحد مدينة مازونة العديد من البلديات التي تعكس موقعها الاستراتيجي في المنطقة، حيث تحدها بلدية سيدي أحمد بن علي من الشمال، وبلدية القطار من الغرب، وبلدية واريزان من الجنوب، بالإضافة إلى بلدية عني امرار التابعة لولاية الشلف من الشرق. هذا الموقع يجعل مازونة مركزًا إقليميًا مهمًا يربط بين العديد من المناطق ويعزز دورها كحلقة وصل بين التجمعات السكانية المحيطة بها.

أما عن تاريخ تأسيس مدينة مازونة، فإنه يكتنفه بعض الغموض نظرًا لقلة المصادر المتوفرة ونقص الوثائق التي تقدم تفاصيل دقيقة عن نشأتها. يشير العديد من المؤرخين إلى أن المدينة قديمة جدًا، وربما تعود أصولها إلى العصور البربرية. يُعتقد، وفقًا لما أشار إليه الباحث بلحميسي، أن مازونة كانت مدينة بربرية قديمة، وربما كانت قائمة خلال فترة الحكم الروماني في المنطقة. تدعم بعض الشواهد هذا الرأي، حيث تتحدث المصادر عن مدينة بني أجبل، التي كانت تُعرف بنشاطها الاقتصادي، مع وجود مزارع وأسواق ونيران تُظهر الحيوية التي كانت تميز المنطقة.

Belhamissimoulay, (1981), Mazouna: Une petite ville une longue histoire, Socètè Nationale d'Edition et de diffusion, Alger. 1982, p 27.

إلى جانب ذلك، يشير وجود تجمعات البربر والمظاهر الحضارية في المنطقة إلى أن مازونة كانت مركزًا حيويًا يعج بالحياة التجارية والزراعية منذ القدم. على الرغم من نقص الوثائق الكافية، فإن مازونة تبقى شاهد على تاريخ طويل، يحمل بصمات متعددة الثقافات التي مرت عليها، مما يجعلها واحدة من المدن ذات الأهمية التاريخية والتراثية في الجزائر.[1]

من جهة أخرى، يرى بعض الرحالة والباحثين أن تاريخ تأسيس مازونة يعود إلى فترة الحكم الروماني مستندين إلى الأدلة المادية المتمثلة في الآثار الرومانية والعملات النقدية التي تم العثور عليها في المنطقة يُشير ليون الإفريقي إلى أن مازونة كانت "مدينة أزلية بناها الرومان"، ويعزز رأيه بالإشارة إلى الآثار المتناثرة بالقرب من المدينة التي تعود إلى الحقبة الرومانية .

وعلى الرغم من غياب اسم محدد للمدينة في السجلات التاريخية القديمة، فإن النقوش التي وُجدت على قطع الرخام الرومانية في المنطقة تُعدّ دليلًا قويًا على جذورها الرومانية. ومع ذلك، لم يرد ذكر المدينة في أعمال المؤرخين الأفارقة الذين دونوا تاريخ المنطقة، مما يضيف بُعدًا من الغموض حول دورها ومكانتها في تلك الفترة هذه الشواهد تجعل من مازونة مدينة ذات عمق تاريخي يستدعي مزيدًا من البحث والتنقيب للكشف عن أسرار ماضيها العريق.[2]

بالنسبة لأصل المدينة الروماني، فإنه يعتبر من بين النقاط المتفق عليها، حيث يوضح موقعها المتميز في الوسط، الذي يراقب الطريق بين الشرق والغرب. يقول مارمول كرخبال (1989): «*هنا مدينة عتيقة بنيت بين مستغانم وتنس... حيث توجد أنقاض عدّة مدن من عهد الرومان... مزخرفة بكتابات لاتينية*».[3] بحسب دراسة للمنطقة لـ بلحميسي، يركز الكاتب اللاتيني "بلني"، الذي عاش في القرن الأول الميلادي، على نوعية القمح المميزة، ومنها بالطبع مازونة.[4]

فلورنشي، أحد الباحثين المختصين، نفى بشكل قاطع وجود بقايا رومانية في المنطقة الممتدة بين شلف وتنس. وأشار في تحليلاته إلى أن المدينة ظهرت في مجموعة من الخرائط القديمة التي توثق الطرق والطرقات التي كانت تُستخدم أثناء السفر من شلف إلى تنس. ومن بين هذه الطرق، كانت الأصنام تُعتبر نقطة عبور مهمة .

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط1 ،عامل الكتب، بيروت، 1989 ،ص521.
[2] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، ج2 ،دار الغرب الإسالمي، بيروت، 1983 ،ص36.
[3] فمارمول كرخبال (1989) كربخال المارمول، (1989)، إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، ج2 ،دار المعارف، الرباط،1989،ص359.
[4] فريد قموح، المرجع السابق، ص 94.

هذا النفي يفتح مجالًا للتساؤل حول دقة الروايات التي تربط مازونة بالعصر الروماني، ويضيف بُعدًا جديدً للنقاش التاريخي حول أصول المدينة ودورها في شبكة الطرق القديمة بالمنطقة. إذ يُحتمل أن تكون المدينة ق اكتسبت أهميتها لاحقًا نتيجة لموقعها الاستراتيجي، بعيدًا عن الحقبة الرومانية.[1]

أما بعض المؤرخين العرب، وفي مقدمتهم ابن خلدون، فيزعمون أن تأسيس مدينة مازونة يعود إلى "بني منديل عبد الرحمن المغراوي"، إحدى قبائل توجين، الذين كانوا يدعون إلى المذهب الخارجي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. كما أورد صاحب *الرتمجانة الكبرى* أن المدينة تأسست بناءً على أمر من الحاكم راشد في عام 160 هـ / 776 م، وهو ما يشير إلى ارتباط نشأتها بفترة مبكرة من التاريخ الإسلامي.

أما الإدريسي، فقد أشار إلى أن مازونة كانت قائمة قبل ظهور الإسلام ببضعة قرون، مما يدعم فكرة أر المدينة لها أصول أقدم تعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي. هذا الاختلاف بين المصادر يعكس تعدد الروايات حول تاريخ المدينة ويبرز الحاجة إلى تحقيق دقيق وشامل في أصولها التاريخية.[2]

من جهة أخرى، يعتقد المؤرخ الإنجليزي "شاو" أن مازونة قد تكون قد بُنيت على يد "الأهايل"، استنادًا إلى هياكلها التي تحمل طابع القلاع، مما يدعم الرأي الذي يرجع تاريخ تأسيسها إلى العهد الروماني، مشروطًا بوجود آثار ومبانٍ تعود إلى تلك الفترة. ومع ذلك، تشير الاكتشافات اللاحقة إلى أن مازونة كانت مركزًا بربريًا قديمًا، وهو ما أشار إليه الباحث غزال في كتاباته .

يذكر غزال إقامة قديمة لزعيم قبيلة "الماسون" المعروف باسم "رجيسماسينغجانتيس"، استنادًا إلى الأدلة الأثري مثل بقايا الصناعة المعدنية في منطقتي وادي تامدة وواريزان. بالإضافة إلى ذلك، تم العثور على بقايا بربري تحت القمة الشمالية الغربية لجبل سيدي سعيد، الذي يقع غرب منطقة سيدي أحمد بن علي بمسافة تقارب 5 كيلومترًا. كما تم اكتشاف قطع فخار بربرية متنوعة في منطقة عني إبراهيم، مما يعزز الفرضية التي تربط المدين بجذور بربرية عميقة.[3]

على الرغم من تضارب الآراء وتباينها بشأن تأسيس مدينة مازونة وتاريخها، إلا أنها تظل، بلا شك، شاهد حية – عبر التاريخ – على الاختلاط المعماري والحضاري الذي شهدته من جهة الرومان ومن جهة أخرى ملوك البربر، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي والإقليمي الفريد الذي جمع بين الاثنين في آن واحد.

[1]إسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة" من مسائل الطهارة إلى مسائل النزاع"، مذكرة ماجيستر في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 010 ،ص124.

[2]أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق: الفيلالي عبد الكرمي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1967 ،ص48.

[3] ميلود ميسوم، مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية"، مذكرة ماجيستر في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2003 ،ص08.

لكن الامر الذي لا اختلاف فيه هو أن مازونة تحتل موقعًا استراتيجيًا ومهمًا، حيث تقع على ضفاف وادي الورزان، أحد أفرع وادي شلف، مما جعلها مركزًا بارزًا على طرق النقل والتجارة بين شرق المغرب الإسلامي وباقي المناطق. عبرت عنها العديد من الرحالة والعلماء والفقهاء، وأصبحت مدينة إسلامية بعد وصول الفتوحات الإسلامية إليها في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وترتبط تاريخيًا بالفترة العثمانية لفترة طويلة جدًا، حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الجزائر الحديث. وبينما يشير بعض المؤرخين إلى أنها عرفت تعاقب عد عصور وحضارات، فقد كانت مازونة ميدانًا لتلاقي الأحداث والتأثيرات بين الملوك والزعماء على مر العصور.

سنركز في هذا السياق على فترة العصور الإسلامية في مازونة، استعدادًا لاستكشاف تفاصيل أوسع حول تاريخ قسنطينة في العهد العثماني.

تحكمت قبيلة مغراوة البربرية في المنطقة الممتدة من الشلف إلى تلمسان، مما جعل مازونة حلقة وصل استراتيجية بين المدينتين ومركزًا هامًا ضمن نطاق نفوذ هذه القبيلة. لم تكن مازونة بمعزل عن تأثير الإسلا وانتشاره، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية في المغرب الأوسط. فقد شهدت المنطقة عبور القائد أبي مهاجر دينار الذي اتجه عبر مازونة نحو تلمسان، مما أتاح للمدينة الانخراط المباشر في حركة الفتح الإسلامي .

لاحقًا، تعزز هذا الارتباط مع الحملات التي قادها موسى بن نصير (719–720م)، الذي ساهم في فتح شمال إفريقيا وإسبانيا، وهو ما جعل مازونة جزءًا من هذه الديناميكية التاريخية الكبيرة، حيث تأثرت بثقافة الإسلا وتعاليمه، ما أدى إلى تحولات عميقة في بنيتها الاجتماعية والدينية.[1]

في عام 475هـ (1080–1081م)، أصبحت مدينة مازونة تحت حكم المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذين وجدوا في المدينة قاعدة داعمة لمشروعهم السياسي والديني. بفضل موقعها الاستراتيجي وسط المغرب الأوسط، شهدت مازونة خلال هذه الفترة ازدهارًا علميًا وثقافيًا غير مسبوق .

تم إنشاء خمسة مراكز علمية عليا في المدينة، إلى جانب انتشار الكتاتيب في معظم أحيائها، مما ساهم في توفير التعليم الديني واللغوي لمختلف فئات المجتمع. نتيجة لهذا النشاط العلمي المكثف، برز العديد من العلما والشعراء والفقهاء الذين ساهموا في تعزيز المكانة العلمية للمدينة .

كما شهدت مازونة ازدهارًا في مجال الكتب والمكتبات، حيث تعددت المكتبات العامة والخاصة لتصل إلى حوالي عشرين مكتبة، ما جعلها مركزًا حضاريًا وعلميًا هامًا في عهد المرابطين، ومصدر إشعاع ثقافي تجاوز حدود المنطقة.[2]

[1] Youcef Loukik, Mazouna ancienne capital du Dahra imprimerie algérienne, Alger. 1912, p 14.

يعتبر بلحميسي أن القرن الثاني عشر الميلادي يمثل فترة الازدهار في تاريخ مدينة مازونة، حيث بدأ يظهر بوضوح الدور التجاري والعلمي للمدينة. في هذه الفترة، شهدت مازونة نهضة في مجال التأليف والعلوم، كم يظهر في ذكر الإدريسي لها في كتابه "نزهة المشتاق"، حيث وصف المدينة بأنها كانت عامرة بالنشاط التجاري

يرجع هذا النشاط إلى وفرة المنتجات الزراعية والحيوانية التي تنتجها الأراضي الخصبة المحيطة بالمدينة بالإضافة إلى المنتجات الصناعية والحرفية التي كانت تملأ أسواقها. أدى هذا الازدهار التجاري إلى تعزيز روابط المدينة مع مدن أخرى مثل القلعة وتلمسان ومراكش، مما جعل القوافل التجارية تمر عبر مازونة لتزويد نفسها بالمنتجات المتنوعة التي توفرها.[1]

إذا شهدت المدينة نمواً اقتصادياً، فسينعكس ذلك بالضرورة على الساحة السياسية في إطار الصراعات التي عرفتها منطقة المغرب الأوسط خلال فترة بن زيان. فمنذ منتصف القرن الرابع عشر وعلى مدار القرن الخامس عشر، كانت مازونة تحت سيطرة القبائل، حيث استولى عليها ملوك تلمسان لصالح أمراء قبيلة سويد من آل عريف. ويقول تاريخ العرب: *« و تماسك السلطان أبو محو موسى الثاني الأمصار وأقطع منها... مازونة لمحمد بن عريف»* .[2] وبهذا العمل، تم منح جميع مناطق بين توجني كإقطاع لسويد باستثناء جبل نشريس لتوعره ومقاومة بين توجني هلم. وقد فتح هذا المجال للقبائل العربية للطموح بالسيطرة على المدينة، خاصة قبيلة بني عامر من زغبة.

الإشارة المؤكدة من المصادر تشير إلى سيطرة العرب على المدينة في أوقات معينة، وقد تمثل ذلك في سؤال وجهه المزونيون إلى شيخهم أبي الفضل العقباوي، حيث قالوا: *«وذلك أن قريتنا كما تعلم أهلها مملوكون، أو يُشبهون المملوكين لأمراء العرب، يأتي الأمراء إلى دار الحاكم ويدخلون بالإذن كأنهم دخلوا ملكه ...»* ،[3] وهذا يظهر أن هذه السيطرة كانت تحدث بمعرفة وتسيير السلاطين بن زيان، الذين كانت مصلحتهم تقضي بتلبية طلبات العرب لاستثمار المال وتقديم الخدمات وجمع الضرائب والرسوم في هذه المناطق، وذلك حتى لو كان نصيب الدولة محدودًا للغاية، بهدف تخفيف الضغط على المدينة ومحيطها، ولكن هذا الأمر أدى في النهاية إلى مشاكل على سكان مازونة، حيث فقدوا الأمان والسيادة والحرية، وتأثر إنتاجهم ونشاطهم، وأصبحوا تحت وصاية الآخرين.

---

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1955 ،ص110.

[1] ميلود ميسوم، المرجع السابق، ص 09.

Belhamissimoulay, Mazouna: Une petite ville une longue histoire, Socètè Nationale d'Edition et de diffusion, Alger. 982, p 33-34.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7 ،تحقيق: زكار سهيل، دار الفكر، لبنان، 2000 ،ص48

2.1 مازونة في العهد العثماني

نتجت تأثيرات سلبية كبيرة على مدينة مازونة نتيجة للتنافس السياسي والصراعات المسلحة التي هزت المنطقة خلال فترة حكم بني زيان. هذه النزاعات المستمرة أدت إلى تدهور الوضع الأمني والاقتصادي للمدينة، مما أثر على مكانتها في المنطقة. ومع بداية القرن السادس عشر وظهور السلطة العثمانية في شمال إفريقيا، بدأت مازونة في استعادة جزء من بريقها الحضاري بفضل موقعها الاستراتيجي الهام، مما ساهم في تعزيز قوتها الاقتصادية والنهوض بفكرها.

في تلك الفترة، تم اختيار مازونة لتكون عاصمة لإمارة الغرب ضمن التقسيم الإداري الذي أقره الباي حسن بن خليل بربروس. وفي عام 1563، أصبح ابن خديجة أول باي لإمارة الغرب، مما أعطى للمدينة فرصة جديد للانتعاش والتطور على الأصعدة المختلفة.[1]

ذكرت بعض المراجع التاريخية أن سكان مازونة لم يستسلموا بسهولة للسلطة العثمانية في البداية. بل قاوموا ببسالة ودافعوا عن حريتهم لعدة عقود، حيث استمروا في قتالهم ضد العثمانيين لمدة تقارب نصف قرن، ولم يتم تسليم المدينة إلا بعد مقاومة شديدة. ومع ذلك، عندما تم قبول الحكم العثماني، قام العثمانيون بتعيين الباشا لإيالة مازونة كحاكم على المدينة لمدة سنتين .

اختار حسن بن خليل بربروس، الذي كان يحكم البلاد في النصف الأول من القرن السادس عشر، مدينة مازونة كعاصمة لإمارة الغرب، لما لها من موقع استراتيجي فريد. كانت المدينة مركزًا هامًا لحماية المصالح العثمانية في المنطقة، نظرًا لموقعها الذي يتيح لها مراقبة المناطق المجاورة والتصدي لأي تهديدات خارجية إضافة إلى ذلك، كانت قلعة بين راشد تقع في مكان استراتيجي يواجه تهديدات متواصلة من الغزوات الإسبانية التي كانت تنطلق من وهران.

كما سعى العثمانيون إلى توسيع سيطرتهم على المناطق المحيطة بمازونة، فدخلوا إلى مليانة، وشنوا أولى حملات تحرير وهران أو حصارها انطلاقًا من مازونة. هذا التوسع العسكري العثماني كان بمثابة خطوة استراتيجية تهدف إلى تأمين منطقة الغرب الجزائري وحماية مصالح الدولة العثمانية من القوى الاستعمارية الأوروبية، خاصة الإسبان.[2]

[1] أبو زكريا حيي بن موسى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، الجزائر، 2004 ،ص153.

[2] ميلود ميسوم، المرجع السابق، ص 10.

في عام 1701، حاول السلطان مولاي إسماعيل، ملك المغرب، السيطرة على البايلك الغربي، إلا أنه فشل في مواجهة جيش العثمانيين بقيادة الباي مصطفى بوشالغم. كان الباي مصطفى يحظى بدعم من قوات داي الجزائر، ما ساعده في تعزيز موقفه العسكري والسياسي. استفاد الباي مصطفى من هذه الظروف وقرر تحويل مقر البايلات في الغرب من مازونة إلى مدينة معسكر، حيث أقام حاكمًا يتمتع بسلطة مدنية وعسكرية في المدينة الجديدة .

بعد هذا التغيير، أصبحت مازونة مركزًا إقليميًا هامًا، حيث أُنشئت فيها "أغاليك"، وهي دائرة إدارية كانت تترأسها شخصية تعرف بـ "آغا"، يتم تعيينها من قبل الباي. هذا التغيير في الهيكل الإداري أسهم في تعزيز الاستقرار السياسي في المنطقة، وضمن للعثمانيين مزيدًا من التحكم في الغرب الجزائري، حيث أصبحت مازونة تحت إشراف مباشر من قبل الباي مصطفى وقواته.[1]

في عام 1804، اندلعت ثورة درقاوة بقيادة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، الذي قاد مجموعة من قبائل الظهرة وشارك في حرب البايلك ضد حكم الباي مصطفى المنزل. استطاع الدرقاوي فرض سلطانه على المنطقة الممتدة من مليانة شرقًا حتى مشارف وهران، مُحققًا انتصارًا مؤقتًا ضد السلطات العثمانية.

إلا أن هذا النصر لم يستمر طويلاً، حيث تعرض مؤيدو الدرقاوي من قبائل الجماهير، وأفليتة، والظهرة، لردود فعل قاسية من جانب البياليك العثماني. تعرض هؤلاء المؤيدين لعقوبات صارمة وعقاب شديد، مما أدى إلى تراجع قوتهم وتراجع الثورة.

بعد هذه الأحداث، تدهورت الأوضاع في مازونة بشكل كبير، حيث لم تعد المدينة تحظى بأي تأثير سياسي أو اجتماعي يذكر حتى ظهور الاحتلال الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر، الذي جلب تغييرات جذرية على المدينة ومنطقة الغرب الجزائري بأكملها.[2]

2. المراكز الثقافية في مازونة العثمانية

خلال الفترة العثمانية في مازونة، كانت المراكز الثقافية قائمة ولكنها لم تحقق نفس المستوى من التنوع والازدهار الذي شهدته بعض المدن الكبرى مثل قسنطينة. على الرغم من دور هذه المراكز في تعزيز الحياة الثقافية والفكرية في المنطقة، فإنها كانت تعاني من نقص في الموارد والدعم الكافي، مما أثر على قدرتها على منافسة مراكز الثقافة الأخرى في الإمبراطورية العثمانية.

---

[1] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514 -1830 ،دار هومة، الجزائر، 2011 ،ص292.

[2] المزاري الاغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، ج1 ،تحقيق: حيي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ،ص270.

كانت هذه المراكز تسهم في نشر العلم والمعرفة، ولكنها لم تكن تتمتع بالموارد المالية والبشرية التي تمتلكها المدن الكبرى مثل قسنطينة، التي كانت مركزًا ثقافيًا مهمًا في شمال إفريقيا. ونتيجة لذلك، فإن مازونة لم تكن قادرة على تحقيق نفس التقدم العلمي والثقافي الذي تحقق في أماكن أخرى في تلك الحقبة.

اولا، المساجد

توسعت مدينة مازونة على مر العصور، ومع تطور الحياة الدينية والثقافية فيها، برز دور المساجد كمراكز دينية وثقافية هامة. ففي عام 1833، كانت المدينة تحتوي على مسجدين ومقهى، وقد تم توثيق هذه المعالم في مذكرة TATAREAU، التي تسجل تاريخ المنطقة. يعود تاريخ المسجدين الرئيسيين في المدينة إلى العصور الوسطى مما يعكس عمق التأثير الإسلامي في المنطقة .

- **المسجد سيدي محمد الغريب:** بُني هذا المسجد في الأصل في عام 1000م ويعرف أيضًا باسم "تايسارت"، ويقع في منطقة سيدي محمد السائح، دفين مدينة تقرت. يعتبر هذا المسجد موقعًا مقدسًا وتاريخيًا مهمًا للمسلمين في مازونة والمنطقة بأسرها.
- **المسجد سيدي عزوز:** بُني في عام 1100م، ويعكس تطور الإسلام في المنطقة ويعد من أبرز المعالم الدينية في مازونة. يعكس هذا المسجد الطابع الديني العميق الذي كان سائدًا في تلك الفترة.

ومع مرور الوقت، توالت المساجد الأخرى، مما ساعد على تعزيز الدور الديني في المدينة. ومن أبرز هذه المساجد:

- مسجد الهدى بوذلول، الذي بني في عام 1450م.
- مسجد سيدي علي بن لحسن بوماتع، الذي بني في عام 1400م.
- المسجد سيدي عبد الحق القصبة، الذي بني في عام 1600م.
- المسجد سيدي محمد بن شارف، الذي بني في عام 1700م.

إضافة إلى هذه المساجد التقليدية، تم إنشاء مسجد مولاي بسويقا في بوعلوفة، وكذلك مسجد المدرسة الذي أسسه محمد بن الشارف في عام 1029م، ويعكس التراث التعليمي والديني في المنطقة .

وقد لعبت هذه المساجد دورًا مهمًا في نشر الثقافة الإسلامية والدينية، بالإضافة إلى تعليم القرآن والعلوم الشرعية مما جعلها مراكز تجمع ديني وثقافي منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث.[1]

ثانيا، الزوايا و مراكز حفظ القرآن

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات الدينية والثقافية في المجتمعات الإسلامية التقليدية، حيث كانت تُعتبر بمثابة قلاع علمية وتربوية تهدف إلى نشر العلم وتوجيه الناس نحو تحسين أخلاقهم وتربيتهم الروحية. وقد كانت هذ الزوايا منتشرة بشكل واسع في مازونة ومناطقها المحيطة، حيث لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الدينية والاجتماعي للمنطقة. كانت الزوايا في مازونة تشكل مراكز حضارية ودينية حيوية، حيث يتجمع فيها الناس لتلقي العل والمواعظ، وتوجيهات دينية تهدف إلى تقوية علاقتهم بالله وتعزيز وعيهم الروحي.

بالإضافة إلى ذلك، لم تقتصر الزوايا على أداء العبادة والدروس الدينية فقط، بل كانت أيضًا مراكز لتعلي العلوم والفنون. ففي الزوايا، كانت تُدرس العديد من العلوم المختلفة مثل الفقه والشريعة، بالإضافة إلى الأدب والتاريخ، حيث كان هذا التنوع العلمي والتعليمي يعكس دور الزوايا في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في المنطقة كما كانت الزوايا مركزًا لتعلم التصوف، الذي كان يمثل جزءًا أساسيًا من الحياة الروحية في المجتمعات الإسلامية. هذا، وكان الزاويون، وهم العلماء والمرشدون الروحيون الذين يقيمون في الزوايا، يعتبرون رموزًا دينية وعلمية ذات تأثير كبير على المجتمع. كانوا يقدمون النصائح والإرشادات للمجتمع، ويقومون بتوجيه الناس نحو السلوكيات الأخلاقية والممارسات الدينية الصحيحة.

تميّزت الفترة العثمانية في الجزائر بانتشار العديد من الزوايا الصوفية، وكان من أبرزها الزوايا الشاذلية والقادرية. هذه الزوايا لم تقتصر على نشر العلوم الدينية فقط، بل كانت تشكل أيضًا جزءًا من بنية الحيا الاجتماعية، حيث كان لها تأثير كبير في توجيه المجتمع وتقويته روحياً واجتماعياً. كان للعثمانيين اهتمام خاص بالزوايا والمرابطين، فقد قاموا بتحيين الأوقاف عليها وزيادة الضرائب المفروضة على أراضيها لتوفير الدعم المالي اللازم لاستمرار نشاطها وتوسعها.

كانت الزوايا تشكل حلقة وصل بين المجتمع والعلماء في العهد العثماني، فهي مراكز إشعاع فكري وروحي لا تقل أهمية عن المساجد في نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز الوعي الديني في المناطق التي كانت تشهد نشاطاً ثقافيًا ودينيًا.[2]

[1] موالي بلحسين دور مازونة في الحركة العلمية والثقافية من منتصف القرن 15الى منتصف القرن الحالي. 1976ص21.
[2] عبد الرحمان الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر 1994-ص 255

تميزت الزوايا بعّدة مزايا، بما في ذلك تحقيق توازن في التعليم بين المدينة والريف، وتوسع قاعدة التعلم. انتشرت الزوايا في كل من المدينة والريف، حيث كانت تعتبر مؤسسات مبنية على نشر الدعوة الطرقية، حيث كانت تجمع بين تحفيظ القرآن والأصول الفقهية والعقيدة والتربية الروحية.

من بين الزوايا البارزة في مازونة ومحيطها زاوية سيدي غالم الله،[1] التي تعتبر من أعلام مدينة مازونة، كانت تحت إشراف الشيخ محمد أبو طالب بن عبد الرحمن، المعروف باسم الشارف المازوني. وهو شيخ المدرسة ويعتبر واحدًا من أشهر الشيوخ في المنطقة، كما أنه الوريث الشرعي للمدرسة. وحتى يومنا هذا، يعود نسب العائلي إلى أبو طالب محمد بن علي بن عبد الرحمان، المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد بن عمر البناوي بن محمد بن عبد الله بن مسعود، ابن الحسن بن سلمان بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسين بن علي ابن طالب ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول.[2]

تُروى الروايات أن مولده كان في سنة 1103 ميلادية، وهذا ما يتم تأكيده من قِبل الشيخ السنوسي المكي درس مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، تحت إشراف والده علي محمد بن عبد الرحمن، في المدرسة المازونية، والتي أسسها جده العلوي، محمد بن شارف، في عام 1029 ميلادية. بعد ذلك، استفاد من تعاليم الشيوخ المعروفين في مازونة، التي اشتهرت بفضل اتساعها وعراقتها في ذلك الوقت. كانت مازونة معروفة بكونها بلد الفقه والمدارس القرآنية، حيث كان شيوخها يتخصصون في القضاء والحكم والفقه الإسلامي، وكان لكل واحد منهم تخصصه المعروف به.

تعتبر مازونة من أهم المراكز العلمية في العهد العثماني، حيث كانت تساهم بشكل كبير في نشر العلم والتعليم في مختلف المجالات. وُلد الشيخ الذي تُروى عنه هذه الروايات في عام 1103 ميلادية، وقد نشأ في بيئة علمية غنية بالمعرفة. كان والده، علي محمد بن عبد الرحمن، هو الذي أشرف على تعليمه الأولي، حيث بدأ بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في المدرسة المازونية التي أسسها جده العلوي، محمد بن شارف، في عام 1029 ميلادية. هذه المدرسة كانت من أقدم المؤسسات التعليمية في المنطقة، مما ساعد في إثراء تعليمه وتنشئته في بيئة دينية وعلمية.

حظي الشيخ بتعليم متميز، حيث استفاد من تعاليم العديد من الشيوخ المعروفين في مازونة، التي كانت في تلك الفترة مركزًا علميًا بارزًا. كانت المدينة تشتهر بوجود العديد من العلماء في مختلف التخصصات الإسلامية

[1] Duly belhamissi-histoire de mazouna -imp-les press de la societe nationel a l'edition et de la diffussion –alger 1982
[2] مخطوط ج 2 كتاب الآصل المازوني مخطوط بالمدرسة

وخاصة في الفقه، القضاء، والحكم. وقد تميز شيوخ مازونة بتخصصاتهم الدقيقة في مجالات الفقه، حيث كار كل منهم معروفًا بتخصصه العلمي وسمعته في المنطقة. هذا الجو العلمي الذي ساد مازونة سمح للشيخ بأر يتعلم ويكتسب العلم على يد أفضل أساتذة زمانه.

لقد تركت مازونة بصمة كبيرة في تاريخ العلم والدين في المنطقة، ليس فقط في مجال الفقه ولكن في مختلف المجالات العلمية الأخرى.[1]

الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعدون بن شارف المازوني كان من أبرز العلماء في الجزائر في عصره، ول مساهمات علمية ودينية هامة. وُلد في عائلة علمية كبيرة، حيث كان نشأته في بيئة علمية ودينية تحفز علـ طلب العلم. تلقى الشيخ المازوني تعليمًا معمقًا في علوم الحديث النبوي، وعُرف بعلمه الواسع في هذا المجال حيث كانت رواية الحديث النبوي وإسناده جزءًا مهمًا من دراسته. امتاز بقدرته على توثيق الأحاديث وتفسيرها وحقق سمعة واسعة بين علماء عصره.

درس الشيخ في مدرسة خاصة بممتلكاته، حيث أمضى فيها حوالي 64 عامًا من حياته في تدريس وتعل العلوم الدينية، وهذا يعكس مدى التزامه بالتعليم وإيصال العلم للأجيال القادمة. كما لعب دورًا حيويًا في تعزيز الثقافة الإسلامية ونشر العلم في منطقته.

إضافة إلى إنجازاته العلمية، كان الشيخ المازوني أيضًا ناشطًا في الجوانب السياسية والعسكرية. فقد شارك فـ معركة ضد الإسبان في وهران في عام 1205 هجريًا، إلى جانب جنود الباي محمد الكبير، باشا وهران. هذ الاشتراك في المعارك يعكس التزامه الكبير بحماية أرضه ومجتمعه، فضلاً عن دوره في تعزيز الروح الوطنية فـ مواجهة الاحتلال الإسباني.[2]

مدينة مازونة التاريخية كانت تُعتبر مركزًا علميًا ودينيًا مهمًا خلال العهد العثماني، حيث ضمت مؤسسا تعليمية متنوعة كان لها دور بارز في نشر العلم والمعرفة في المنطقة. كانت هذه المؤسسات تعتمد بشكل رئيسـ على الأوقاف كمصدر أساسي للتمويل. الأوقاف كانت عبارة عن ممتلكات مخصصة لخدمة المؤسسات الدينـ والتعليمية، مما ساعد على استمرار نشاط هذه المراكز دون انقطاع.

[1] لزغم فوزية. الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1510-1830 دار سنجاق الدين وزارة الثقافة 1 الجزائر ص14
[2] لزغم فوزية. المرجع نفسه. ص 143.

مع انتشار التصوف في الجزائر وظهور الزوايا بكثرة في القرى والأرياف، ازدادت أهمية هذه المؤسسات التعليمية، حيث أصبحت الزوايا مراكز لتعليم القرآن الكريم والفقه الإسلامي، إضافة إلى كونها أماكن لإقامة الشعائر الدينية وتقديم الإرشادات الأخلاقية .

وقد أشار العالم يحيى المازوني في بعض كتاباته إلى الدور الكبير الذي لعبته المدرسة الفقهية في مازونة كانت هذه المدرسة تُعنى بتعليم علوم الدين، كالفقه والتفسير والحديث، وأيضًا بتخريج علماء وشيوخ قادرين على تولي القضاء والفتوى. هذا الدور جعل من مازونة مركزًا دينيًا وتعليميًا يُقصد من مختلف أنحاء الجزائر، مما ساهم في تعزيز مكانتها الثقافية والعلمية .

بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه المدارس والزوايا تقوم بترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيز الوحدة الاجتماعية، حيث ساهم العلماء والفقهاء في توجيه المجتمع وتوعيته، ما يعكس الترابط الوثيق بين الدين والتعليم في تشكيل الهوية الثقافية للمدينة.[1]

وصارت الزاوية تتمتع بامتيازات مادية ملموسة نتيجة اقتطاع الأراضي وتحرير الجبايات. تفيد إحدى النوازل بأن رجلاً من الصالحين كان يحظى بظهيرة اقتطاع وتحرير سلطانية، حيث كان يفتح الرباط في مناطق متعددة وانتهت القصة بحبس تلك الأملاك.[2]

ثالثا، المدارس

تُعتبر المدرسة المازونية من أبرز المؤسسات التعليمية التي اشتهرت بتدريس العلوم الدينية خلال العصر العثماني، حيث ركّزت على مواد مثل الفقه، والأصول، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث. وكان لهذه المدرسة دور بارز في تخريج نخبة من العلماء المتميّزين الذين أثروا الحياة الدينية والفكرية في المنطقة. يعود هذا التميّز إلى وجود نخبة من المشايخ المرموقين الذين أشرفوا على التدريس فيها.

من بين الشخصيات البارزة التي ارتبطت بالمدرسة المازونية كان المجاهد محمد بن علي أبو طالب المازوني، الذي شهدت المدرسة في عهده ازدهارًا كبيرًا. كما كانت المدرسة وجهة للطلاب من مختلف المناطق لاكتساب المعرفة، ومن أبرز هؤلاء الطلاب الحافظ أبو الراس الناصري المعسكري، الذي كان يُعتبر من العلماء البارزين، و شيخ أهل غريس، الذي تخرّج أيضًا من المدرسة.

[1] بركات اسماعيل. المرجع السابق ص116.- انظر يحي المازوني .المرجع السابق .م س 55/2ورقة ط.
[2] احمد بحر. حاضر مازونة دراسة تاريخية و حضارية في العصر الديث 1500-1900 م.

كانت المدرسة تعتمد بشكل رئيسي على موارد الوقف التي ساهمت في استمرارية نشاطها التعليمي. وق شهدت المدرسة تعاقب عدد من الشيوخ الذين أسهموا في إثراء التعليم فيها، مثل الشيخ الكتاني وسيدي الميسوم الذين كانا من أعلام التدريس في المنطقة .

لم تكن المدرسة مجرد مؤسسة تعليمية، بل كانت مركزًا لنشر الفكر الإسلامي، مما جعلها منارة علمي يقصدها الطلاب والباحثون من كل مكان، الأمر الذي رسّخ مكانتها التاريخية كواحدة من أبرز المؤسسا التعليمية الدينية في الجزائر.[1]

مدرسة مازونة:

تشير الأدلة التاريخية والروايات الموثوقة إلى أن تأسيس المدرسة المازونية يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، أو الحادي عشر الهجري، وتحديدًا حوالي عام 1029 هـ. يُنسب تأسيسها إلى الشيخ **محمد بن الشارف، الذي لعب دورًا مركزيًا في وضع أسسها وتنظيمها. لقد قام الشيخ بتمويل المدرسة من ماله الخاص وكرّس حياته للتدريس فيها لمدة تقرب من 64 عامًا، ما يعكس إخلاصه للعلم والتعليم. واليوم، يُعتبر قبره الواقِ داخل المدرسة، تحت قبة تحمل اسمه، شاهدًا على إرثه العلمي والديني.

وفقًا للتقاليد الشفوية لعائلة المؤسس، كان الشيخ محمد بن الشارف يمتلك قطعة أرض غير صالحة للبناء وبعد دراسة متأنية، قرر بيعها واستبدالها بقطعة أرض أخرى ملائمة لإنشاء زاوية تعليمية. وقد اشترى الأرض الجديدة من ثلاث نساء كن يملكنها، لكنهن رفضن في البداية بيعها عندما علمن أن الغرض من شرائها هو بنا مدرسة دينية. ورغم ذلك، أصر الشيخ على شراء الأرض ودفع ثمنها، مؤكدًا عزمه على تحقيق هدفه في إنشا مركز تعليمي يساهم في نشر العلم والمعرفة.

هذا الموقف يعكس إصرار المؤسس ورؤيته الواضحة لأهمية إنشاء مؤسسة تعليمية تلبي احتياجات المجتمع مما أسهم في جعل المدرسة المازونية مركزًا علميًا بارزًا. لم تكن المدرسة مجرد مكان للتدريس، بل أصبحت رمز للنهضة الفكرية والثقافية في المنطقة، ووجهة يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء الجزائر.[2]

مدرسة مازونة اكتسبت سمعة متميزة في العلوم منذ إنشائها، ولعبت دورًا بارزًا في المحافظة على الثقاف العربية الإسلامية، ليس فقط على المستوى المحلي، بل على نطاق واسع في منطقة وهران ومحيطها. فقد جذبت لفترة طويلة عددًا كبيرًا من الطلاب الذين جاؤوا من مختلف القرى والمدن في غرب الجزائر، وحتى من أقصى

[1] لوكفة يوسف. مدرسة مازونة الفقهية النهضة و السقوط. رسالة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع. جامعة وهران 2003/2002
[2] ينظر أيضا بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري منشوراتANEP ، الجزائر، ط1، 2002م،ص20.

المغرب، بحثًا عن العلم. كان من المعروف عن هؤلاء الطلاب أنهم كانوا يسعون لاكتساب المعرفة أينما كانت متاحة، فكان بعضهم في حالة من الحركة المستمرة لطلب العلم.

يقول محمد أبو راس الجزائري: «*عندما أخبرني الطلاب عن مازونة، وعن كثرة مجالسها وتميز طلابها وعبقرية أساتذتها... سافرت إليها رغم صغر سني ومعاناتي من مشقة السفر، لكن هذا هو حال السعي وراء العلم. كل هذا منح مدينة مازونة ومدرستها العلمية مكانة فكرية وثقافية بارزة، حتى أنها أصبحت تُعرف بحاضرة العلم وتلقب بمدينة العلم والعلماء.*»[1]

أسس الفقيه العارف محمد بن علي الشارف المازوني مدرسة تربوية في مدينة مازونة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، حيث لعبت دورًا كبيرًا في نشر العلوم الدينية والفقهية. كان الشيخ محمد بن علي الشارف من أبرز علماء عصره، واستمر في التدريس في هذه المدرسة حتى وفاته، تاركًا إرثًا علميًا ودينيًا غنيًا.

شهدت المدرسة مرحلة تجدد وازدهار في بداية القرن الثاني عشر الهجري، على يد الشيخ أبو طالب محمد بن علي، الذي أعاد إحياء دورها كمركز علمي وتربوي، واستقطب العديد من طلاب العلم من مختلف أنحاء البلاد بفضل جهوده، استمرت المدرسة في تقديم التعليم الراقي وتخريج علماء متميزين.

بعد وفاة الشيخ أبو طالب، انتقلت قيادة المدرسة إلى اثنين من أبرز تلامذتها، وهما الشيخ محمد بن هني وشقيقه الشيخ عبد الرحمن بن هني. تميز هذان العالمان بإسهاماتهما في تطوير المدرسة والحفاظ على مكانتها كصرح علمي مهم في المنطقة. بفضل جهودهم، واصلت المدرسة تقديم رسالتها التعليمية، ما جعلها مرجعًا للعلوم الشرعية والتربوية في الجزائر.[2]

عدد كبير من الأشخاص تخرجوا من مدرسة مازونة،[3] ولا يمكن حصرهم جميعًا في هذه الصفحات، لذا سنكتفي بالتعريف بأبرزهم وأشهرهم، أولئك الذين بلغت شهرتهم الآفاق وخلدوا أسماءهم بمؤلفاتهم وكتبهم، وأسسوا مدارس من التلاميذ الذين حملوا علمهم ونشروا ذكرهم.

تعتبر مازونة موطنًا لعدد من العلماء البارزين الذين أسهموا بشكل كبير في نشر العلوم الدينية والفقهية. ومن أبرز هؤلاء العلماء:

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، 1990، ص43.

[2] بوعبد الله غلام الله: نظرة عامة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين (أعمال الأسبوع الوطني الثالث للقرآن الكريم)، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1424هـ/ 2003م، ص37.

[3] للتفصيل في الموضوع يراجع كلا من: محمد الأمين بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، 1427هـ/2006م، ص113، وأيضا: أحمد بحري: حاضرة مازونة، ص241، وأيضا: جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، ص42.

1. **عبد الرحمن بن محمد بن الشارف:** يُعتبر مؤسس المدرسة الفقهية في مازونة وأحد أعلامها البارزين قضى حياته في خدمة العلم والتعليم، وتوفي في مدينة مازونة، رغم غياب تاريخ دقيق لوفاته.
2. **الشيخ علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الشارف:** ابن الشيخ عبد الرحمن، واستمر في دع المدرسة الفقهية وتطويرها. تُوفي في مازونة عام 1189هـ، تاركًا أثرًا كبيرًا في المجال العلمي والديني.[1]
3. **الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الشارف:** المعروف بأبي طالب المازوني، حفيد مؤسس المدرسة، توفي سنة 1233هـ/1818م في مازونة عن عمر يناهز 130 عامًا ودامت فترة تدريسه 44 سنة.
4. **الشيخ أبو العباس أحمد بن هني بن محمد بن علي:** حفيد الشيخ أبي طالب المازوني وأحد أعلا المدرسة الذين ساهموا في الحفاظ على تقاليدها العلمية.
5. **الشيخ محمد الصادق بن فغول:** من العلماء الأجلاء، متميز في معرفة الحديث وعلم الشريعة.
6. **يحيى بن موسى أبو عمران ابن عيسى بن يحيى، أبو زكريا المغيلي المازوني:** فقيه مالكي من أهل مازونة، ولي قضاء بلده، توفي بتلمسان سنة 883هـ/1478م، له كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة".
7. **أبو عمران موسى بن عيسى المازوني:** قاضٍ بمازونة،[2] وصفه الحفناوي بأنه "الفقيه الأجل المدرس المحقق، القاضي الأكمل".[3]
8. **الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني:** المعروف بابن منزول آغا، من كبار علما مازونة.[4]
9. **الصادق بن علي المغيلي المازوني:** عالم مالكي، درس في مازونة، وتعلم بالأزهر الشريف، وتولى القضاء في مازونة ووهران.

بالإضافة إلى هؤلاء، هناك العديد من العلماء الذين درسوا في مازونة:

1. **الشيخ مصطفى الرمّاصي (ت 1136هـ/1724م):** عالم مالكي، تعلم بالمدرسة الفقهية بمازون ورحل إلى القاهرة.

---

[1] بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، مخطوط ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002-2003م، ص 29.
[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ص ص 605-606.
[3] الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر، 1991م، ج2، ص: 448.
[4]

2. **الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م):** مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ودرس في مازونة.

3. **الشيخ محمد بن القندوز (ت 1222هـ):** درس في المدرسة الفقهية بمازونة ورحل إلى مصر.

4. **الشيخ عدة بن غلام الله (1208-1283هـ/1747-1866م):** درس الفقه في مازونة وتولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر.

5. **الشيخ محمد أبو راس:** مؤرخ وفقيه، درس الفقه المالكي في مازونة وله مؤلفات عديدة.

6. **الشيخ عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري:** خريج المدرسة الفقهية بمازونة، وصاحب كتاب "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب".

7. **السيد محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري:** درس العلوم الشرعية في مازونة، ثم توجه إلى قسنطينة.

هؤلاء العلماء وغيرهم ممن درسوا وتعلموا في مدرسة مازونة ساهموا في اكتسابها شهرة علمية وثقافية، ولعبت دورًا كبيرًا في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية في القطاع الغربي من الجزائر وفي البلاد عامة. البعض استمر في التدريس في مازونة، بينما رحل آخرون إلى مناطق أخرى في المشرق والمغرب، حيث اشتهروا وبرزت أسماؤهم.

اهتم أهل مازونة، كغيرهم في المغرب الأوسط خصوصًا والمغرب الإسلامي عمومًا، بالعلوم الدينية بمختلف فروعها. كان الفقه الإسلامي في صدارة هذه العلوم، حيث تركز الاهتمام عليه من خلال الفتوى في المسائل اليومية. كما زاد التركيز على حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل أصول الدين اهتم علماء حاضرة مازونة أيضًا بتفسير القرآن الكريم وعلومه، خاصة القراءات. وبرزت مؤلفات متعددة حول مناقب الأولياء الصالحين، إضافة إلى كتب التدريب على القضاء وآداب المسافر منذ القرن الخامس عشر[1]

رغم خطورة الحوادث التي عصفت بالمنطقة وزعزعت استقرارها وأرهقت سكانها، ظلت الجزائر تحت الحكم العثماني مركزًا للعلم، ووجهة للعلماء والطلاب، وقطبًا لكل من يرغب في التعلم والتعمق في العلوم الدينية بمختلف فروعها من فقه وتفسير ونحو وعقيدة وشعر. بفضل مدارسها ومساجدها وكتاتيبها وزواياها، كانت

[1] سفيان شبيرة: دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد 11-12، 1435هـ/2014م، ص 186.

الجزائر رائدة في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والدينية، بما يضاهي نشاط جامع الزيتونة وجامع الأزهر وجامع القرويين.

عرف التعليم في الجزائر العثمانية مستويين رئيسيين: الأول يعادل المرحلة الابتدائية ويتم عبر المدارس الصغيرة المعروفة بالكتاتيب، والثاني يشرف عليه المدارس في المناطق الحضرية والزوايا في الأوساط الريفية كان هذا التعليم ذا طابع ديني بحت، مرتبطًا بالحركة الدينية التي كانت عاملًا أساسيًا في ثقافة العصر العثماني تخرج من هذه المدارس والزوايا الأئمة والقضاة والعدول والموثقون، بالإضافة إلى العلماء والشيوخ والفقهاء.

في شمال الجزائر، تميزت بعض المدن بمكانتها التعليمية بفضل المدارس والمساجد التي كانت مركزًا لنشر العلم، خاصة العلوم الدينية والفقهية. وقد كانت هذه المؤسسات تلعب دورًا محوريًا في تكوين العلماء والفقهاء. مر بين هذه المدن والمؤسسات، تُعد مدرسة المسجد الكبير في تلمسان من أبرز المعالم التعليمية، حيث كانت تُدرّس العلوم الشرعية وعلوم القرآن، وكان لها دور كبير في تخريج علماء بارزين. كما اشتهرت مدرسة ابني الإمام في تلمسان بتخصصها في الفقه والعلوم الإسلامية، وكانت وجهةً لطلبة العلم من مناطق مختلفة. أما مدرسة مازونة شرق مستغانم، فقد تميزت بكونها من أهم المؤسسات التعليمية في المنطقة، خاصةً خلال العصر العثماني، حيث خرّجت العديد من العلماء والمشايخ، مما جعلها مركزًا علميًا بارزًا.

معسكر بدورها كانت تُعرف بنشاطها التعليمي المميز بفضل مدارسها ومساجدها. في عهد الباي محمد الكبير، تم تأسيس المدرسة المحمدية التي أصبحت واحدة من أهم المدارس الكبرى في المنطقة، مما عزز مكانة معسكر كمدينة تعليمية بارزة. في المقابل، لم تشتهر مدينتا ندرومة ومستغانم بوجود مدارس كبيرة أو بارزة كما هو الحال في تلمسان ومازونة ومعسكر. مع ذلك، كانت المساجد وملاحقها في ندرومة ومستغانم تلعب دورًا هامًا في نشر التعليم والثقافة على المستوى المحلي، حيث كانت تُستخدم لتعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية.

ساهمت هذه المؤسسات في الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمنطقة، خاصةً خلال فترات الاستعمار والتحديات السياسية. كما أنها لعبت دورًا هامًا في تخريج علماء وفقهاء أسهموا في إثراء الحياة الثقافية والدينية سواء في الجزائر أو في العالم الإسلامي.[1]

اشتهرت مدينة مازونة بمدرستها العريقة، التي أسسها أحد النازحين من الأندلس، الشيخ محمد بن شارف الأندلسي، في نهاية القرن السادس عشر.[2] تعدت شهرة هذه المدرسة المستوى المحلي لتصل إلى المستوى

[1] نفسه: ص 160.

BELHAMISSI Moulay : histoire de Mazouna, P 49.

المغاربي، فجذبت الطلاب من كل حدب وصوب، خاصة من مستغانم وتلمسان و ندرومة وتنس ومعسكر، وحتى من المغرب الأقصى ودول المغرب العربي والإسلامي. تخرج منها علماء وفقهاء ومفتون بارزون، من أبرزهم أبو راس الناصري و المغيليان.

أول المغيليين هو أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني، الذي له مؤلفات عديدة أشهرها "ديباج الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"، "الرائق في تدريب النشء من القضاة وأهل الوثائق"، و"حلية المسافر" الثاني هو أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المغيلي (توفي 1478م)، صاحب كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، والذي يحتوي على حكمة خالدة: "فساد الملوك بفساد العلماء، وفساد الرعية بفساد الملوك".[1]

خامسا، الكتاتيب

الكتاتيب هي مؤسسات تعليمية تقليدية متجذرة في الثقافة التعليمية للعديد من المجتمعات الإسلامية، وتع جزءًا أساسيًا من التراث التعليمي. تُعرف الكتاتيب محليًا بأسماء مختلفة مثل "جامع" أو "مكتب"، وهي مخصص لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتقديم الدروس الدينية. لعبت الكتاتيب دورًا محوريًا في نشر التعليم الديني وتأسيس القيم الأخلاقية والاجتماعية لدى الناشئة .

تتواجد الكتاتيب بأشكال مختلفة، حيث يمكن أن تكون جزءًا من المساجد وتقام فيها الحصص التعليمية بع الصلوات، أو تكون مؤسسات مستقلة تقع في المدن أو القرى لتلبية احتياجات السكان المحليين. كما أن الكتاتيب قد تكون متنقلة في البيئات البدوية، حيث تُستخدم الخيام البدوية، المعروفة بـ "الشريعة"، كمقر لتعليم الأطفال مما يُظهر مرونة هذه المؤسسات في التكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية.

تُقسم الكتاتيب إلى نوعين رئيسيين: الكتاتيب البدوية والحضرية. الكتاتيب البدوية تتميز بمرونتها وبساطتها وغالبًا ما تُعقد جلسات التعليم في الخيام أو الأماكن المفتوحة. أما الكتاتيب الحضرية، فتأخذ طابعًا أكثر تنظيمً وتكون عادةً ملحقة بالمساجد أو تتخذ مقرات دائمة تُعرف بـ "المكاتب". يركز التعليم في هذه الكتاتيب على حفظ القرآن الكريم، إلى جانب دراسة علوم الدين الأساسية مثل التفسير والحديث والفقه.

تعتمد الكتاتيب على أساليب تقليدية في التعليم، حيث يُستخدم اللوح والصلصال للكتابة والتدريب على الحفظ وهو ما يُعزز مهارات التكرار والذاكرة لدى الطلاب. يقوم "المعلم" أو "الشيخ" بدور محوري في العملية التعليمية حيث يتمتع بمكانة اجتماعية مميزة ويُعتبر مصدرًا موثوقًا للعلم والتوجيه.

[1] بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية الثقافية، مقال مجلة العصر، ص08.

بالإضافة إلى دورها التعليمي، تُعتبر الكتاتيب مراكز اجتماعية تُعزز التماسك بين أفراد المجتمع. فهي ليست مجرد أماكن لتعلم القرآن، بل تُسهم في بناء القيم الأخلاقية وتعزيز الهوية الثقافية والدينية. وبرغم التغيرات التي شهدتها الأنظمة التعليمية الحديثة، لا تزال الكتاتيب تحتفظ بدورها في العديد من المناطق الريفية والبدوية، حيث تظل الوسيلة الأولى لنشر التعليم الديني.

من خلال مرونتها وطابعها التقليدي، نجحت الكتاتيب في الاستمرار على مر العصور، لتكون شاهدًا على التراث التعليمي الإسلامي ووسيلة للحفاظ على القيم الدينية والثقافية، خاصةً في المجتمعات التي لا تزال تحافظ على تقاليدها التعليمية الأصيلة.[1]

سادسا، الرباطات

كانت الروابط بين العثمانيين والتواجد الجزائري عميقة ومتينة، تجسدت في العديد من الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية، وأظهرت فعاليتها في مواجهة التهديدات الخارجية، وخاصة التهديد الإسباني الذي كان يحيط بالسواحل الجزائرية. لعب العثمانيون دورًا رئيسيًا في الدفاع عن الجزائر ضد محاولات الغزو الأوروبي، مما أكسبهم تأييد السكان المحليين وزاد من ترسيخ وجودهم في المنطقة.

تميزت العلاقة بين الجزائر والعثمانيين بتحالف وثيق بين السلطة السياسية العثمانية والمؤسسات الصوفية التي كانت ذات نفوذ كبير في المجتمع الجزائري. كانت الطرق الصوفية قوة ثقافية وروحية مهمة، حيث لعبت دورًا بارزًا في الحفاظ على تماسك المجتمع وتعزيز مقاومته ضد الغزاة. وشهدت الجزائر في تلك الفترة توسعًا كبيرًا للطرق الصوفية، مثل الطريقة القادرية والطريقة الرحمانية، التي كان لها تأثير مباشر على الحياة اليومية للسكان

وفقًا للمؤرخ عبد الرحمن الجيلالي، فإن العثمانيين لم يكتفوا بالهيمنة العسكرية والسياسية، بل استخدموا أيضًا السياسة الصوفية كوسيلة فعالة لترسيخ سلطتهم وتعزيز شرعيتهم في أعين السكان المحليين. من خلال دعم الزوايا والطرق الصوفية، تمكن العثمانيون من بناء جسور ثقة مع الجزائريين، حيث أصبحت الزوايا مراكز ليس فقط للتعليم الديني والتصوف، ولكن أيضًا للتنظيم الاجتماعي والإدارة المحلية .

كان هذا التحالف بين العثمانيين والمرابطين من المرابطين والزوايا مفيدًا للطرفين: فقد قدمت الطرق الصوفية دعماً روحياً وشعبياً للحكم العثماني، بينما وفر العثمانيون الحماية العسكرية والرعاية للزوايا والمؤسسات الصوفية. كما أن هذا التحالف ساهم في بناء مجتمع مقاوم للغزوات الخارجية، حيث كانت الزوايا بمثابة معاقل لنشر القيم الإسلامية وتجنيد السكان في مواجهة الإسبان وغيرهم من الغزاة.

[1] لوكفة يوسف. مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط.

لم يكن دعم العثمانيين للزوايا والطرق الصوفية مجرد تكتيك سياسي، بل كان جزءًا من استراتيجية أوسع تهدف إلى تحقيق الانسجام بين السلطة المركزية العثمانية والبيئة المحلية. ومن خلال هذه السياسة، تمكن العثمانيون من تكييف وجودهم مع الخصوصيات الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري، مما ساعد على ترسيخ نفوذهم لعقود طويلة.

وفي النهاية، يظهر أن التحالف بين العثمانيين والجزائريين لم يكن مجرد تحالف عسكري أو سياسي، بل كان نموذجًا للتكامل بين القوة السياسية والقوة الروحية في مواجهة التحديات المشتركة. هذا التحالف عزز وحدة المجتمع الجزائري وصمد في وجه التهديدات الخارجية، تاركًا إرثًا غنيًا من التعاون والاندماج بين الطرفين.[1]

3. الأثر الثقافي لهذه المراكز الثقافية في مازونة العثمانية

تركت المراكز الثقافية في مازونة العثمانية أثرًا بارزًا على الحياة الثقافية والاجتماعية في المنطقة. فقد كانت هذه المراكز، سواء الزوايا الصوفية أو المدارس الفقهية، تمثل محاوراً حيوية لنقل المعرفة وتعزيز الفهم الديني والثقافي بين سكان المنطقة. من خلال تحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز، يمكننا فهم أعمق لكيفية تشكل وتطوير الهوية الثقافية في مازونة خلال الفترة العثمانية. سنستكشف في هذه الدراسة دور هذه المراكز في نقل المعرفة، وتعزيز التعليم، وتشجيع الحوار الديني والثقافي في الجزائر العثمانية.

أثنى أبو راس الناصري في كتابه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" على الدور الكبير الذي لعبته مراكز التعليم في مدينة مازونة خلال فترة الحكم العثماني، وأبرز تأثير مدرسة مازونة على الحياة الثقافية والعلمية في المنطقة. في هذا السياق، يروي الناصري تجربته الشخصية التي دفعته إلى السفر إلى مازونة في مغرب الجزائر، المدينة التي أسسها منديل بن عبد الرحمن في بداية القرن السادس، وهو ما يعكس بوضوح المكانة العلمية المرموقة التي كانت تتمتع بها المدينة في ذلك الوقت.

على الرغم من سنه الصغيرة والصعوبات التي واجهها في رحلته الطويلة، اعتبر أبو راس الناصري أن رحلته كانت جزءًا لا يتجزأ من سعيه الدؤوب للبحث عن العلم. ويذكر في كتابه أن مازونة كانت مركزًا علميًا رائدًا وكان الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يتوجهون إليها طلبًا للعلم. يتحدث عن تجربته في حفظ المختصر بمهارة فائقة وفهمه العميق لمعانيه، مما عزز من مكانته العلمية وأدى إلى انتشار صيته في أرجاء العالم الإسلامي.

[1] ابو القاسم سعد هلا –تاريخ الجزائر الثقافي. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر 1951.ج1 3 ص472

ورغم تميز مدينة مازونة كمركز علمي بارز، يذكر الناصري في حديثه أنه قرر مغادرتها بعد فترة من الزمر متوجهًا إلى أم عسكر، حيث كان هدفه الأساسي متابعة دراسته في مجال الفقه. إن رحلته لم تكن مجرد انتقال بين مدن، بل كانت بمثابة رحلة مستمرة في سبيل تحصيل العلم، وهو ما يعكس التزامه العميق بالعلم وأهمي البحث المستمر عن المعرفة.

هذه التجربة تعكس الدور الحيوي الذي لعبته المدارس والمراكز العلمية في مازونة خلال العصر العثماني حيث كانت بمثابة نقطة انطلاق للعديد من العلماء والمفكرين الذين تركوا بصماتهم في مجالات متنوعة.[1]

تاريخيًا، كانت مازونة، مثل قسنطينة، مركزًا حيويًا لتشكيل جيل مثقف ونخبة مثقفة. يُشار إلى أن مدرسة مازون كانت أحد مراكز انطلاق الحركة السنوسية.[2] اشتهرت هذه المدرسة بتدريس الفقه والحديث وعلم الكلام، وكانت تجمعًا للعلماء والطلبة، ومركزًا للمبادرات الفكرية والسياسية. وعندما كانت عاصمة ومقرًا لبايلك الغرب لأول مر (1563–1700م)، ازدهرت المدينة وتألقت مدرستها أكثر فأكثر. أعاد الأتراك بناء المدرسة مرارًا وتكريمً لشيوخها الذين شاركوا في الجهاد ضد الإسبان. كانت المدرسة ملاذًا لمحبي العلم والمعرفة، وكانت مثل الزهر بين الأشواك، دائمة العطر والحيوية. شهدت مدرسة مازونة مرور ملوك وأمراء و بايات ودايات وباشوات وحظيت بدعمهم المستمر على مدى العصور.[3]

في العهد العثماني، كانت منطقة مازونة تشكل مركزًا ثقافيًا وتعليميًا مرموقًا، حيث جذبت العديد من الملوك والأمراء والعلماء والطلبة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. على مدار قرن ونصف من الزمن، أصبحت مازون بمثابة عاصمة للثقافة والمعرفة، لا سيما في مجالات الفقه والشريعة. كانت مدرستها تعُد من أبرز مراكز التعليم وتتنافس مكانتها مع كبرى الجامعات الإسلامية مثل الأزهر في مصر، والزيتونة في تونس، والقرويين في فاس.

تخرج من مدرسة مازونة العديد من العلماء البارزين، بما في ذلك القضاة والمفتين والأئمة الذين أصبحوا مر أبرز الشخصيات في العالم الإسلامي. وقد انعكست مكانة هذه المدرسة في المجتمع الثقافي والعلمي، حيث كار يُعتبر من أعظم الشهادات الدراسية أن يقال عن طالب: "لقد درس في مازونة". هذا القول لم يكن مجرد شهاد على إتمام التعليم، بل كان بمثابة تكريم، مما يعكس الفخر والاحترام الذي كان يُمنح للطلاب الذين تخرجوا منها.

[1] الناصري أبو راس: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990، ص 20 وما بعدها.
BELHAMISSI Moulay : histoire de Mazouna, P 50.
[3] بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية، مقال العصر، ص 08 وما بعدها.

مازونة لم تكن مجرد مدينة علمية، بل كانت مؤسسة ثقافية حية في ذلك العصر، تُمثل رمزًا للفكر والتعلم أسهمت هذه المنطقة بشكل كبير في الحفاظ على المعرفة الإسلامية وتطويرها، وكان لها تأثير عميق على الفكر الفقهي والعلمي في المنطقة وما وراءها.[1]

منذ تأسيسها، عاشت المدرسة في مازونة فترة ازدهار حيث قامت بأداء دورها التعليمي بكفاءة عالية. لم تقتصر نجاحاتها على المضمون العلمي الذي قدمته، بل تجاوزتها أيضًا إلى التأثير الذي أحدثته في جذب الطلاب من مختلف مناطق الوطن وحتى خارجه.

يعتبر مركز مازونة محوراً للشعاع العلمي والحضاري في المغرب الإسلامي منذ القديم، خاصةً منذ بداية القرن السادس عشر. يعود هذا التأثير إلى العلاقات الوثيقة والتفاعل المستمر مع المدن الإسلامية الأخرى مثل تلمسان وندرومة. هذا الدور البارز لمازونة قد تمثل في تاريخ الجزائر الثقافي، حيث وصفه شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله كعاصمة للعلم والعلماء، ومركزاً تجذب إليه العديد من العلماء الأندلسيين. بفضل تأسيس مدرسة مازونة الفقهية، أصبحت المنطقة مركزاً رائداً للدراسات الدينية في الغرب الجزائري.

حيث تميزت مدرسة مازونة بتخريج العديد من العلماء المشهود لهم في مجالات العلوم الدينية، وذلك خلال فترة باي محمد الكبير، حيث كانت تعتبر مصدرًا هامًا للموارد والتمويل. بالرغم من أن مدرسة مازونة الفقهية شهدت في وقت لاحق تراجعاً في بريقها العلمي وتأثيرها، إلا أنها لا تزال تحتفظ بمكانتها كمركز مهم للتعليم الديني حيث تعتبر مقصداً للطلاب من جميع الجهات، وتظل تسهم في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية المستمدة من مصادرها الأصيلة.

تُعتبر مدينة مازونة من بين المدن القديمة والمعروفة بتاريخها العريق والأصيل. فقد وُصفت منذ القدم بـ"مدينة العلم والثقافة"، وأطلق عليها لقب "أم الأحكام المكنونة". تميّزت المدينة بحركة علمية وثقافية نشطة، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة لبايلك الغرب. كما قامت مراكز التعليم فيها بأدوار بارزة ومهمة في تنمية الطلبة وتأهيلهم حيث أخرجت نخبة من العلماء والمشايخ الذين ساهموا في تعزيز الحركة العلمية والثقافية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

ساهمت هجرة علماء الأندلس إلى الجزائر في تلك الحركة العلمية، إذ هربوا من اضطهاد الكنيسة في بلادهم وكانت دوافعهم للهجرة تتمثل في إيمانهم بأن ابتعادهم عن الدين هو السبب وراء ما ألم بهم في الأندلس وبالتالي، سعوا إلى تصحيح مسارهم والعودة إلى الدين وعلومه من خلال العودة إلى الجزائر.

[1] المصدر السابق، ص 09.

مدينة مازونة تحمل بين جدرانها تاريخاً عريقاً وثقافة أصيلة، فهي منذ القدم تُعرف بـ"مدينة العلم والثقافة" وتلقب بـ"أم الأحكام المكنونة". شهدت المدينة حركة علمية وثقافية مزدهرة، خاصة بعدما أصبحت عاصمة لبايلك الغرب. وكانت مراكز التعليم فيها تلعب دوراً مهماً ورياديا في تنمية الطلبة وتخريج نخبة من العلماء والمشايخ الذين كان لهم دور بارز في تشكيل المشهد العلمي والثقافي في الجزائر خلال العصور الوسطى.

ساهم نزوح علماء الأندلس إلى الجزائر في تعزيز الحركة العلمية والثقافية في المنطقة، حيث هرب العديد منهم من اضطهاد الكنيسة في الأندلس عقب سقوط غرناطة في 1492م. كان هؤلاء العلماء، الذين شملوا الفقهاء والمفكرين والمفسرين، قد تعرضوا لتضييق شديد على يد السلطات المسيحية التي كانت تسعى إلى القضاء على الثقافة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية. هذا الاضطهاد جعلهم يشعرون بالاغتراب الروحي والفكري، إذ كانوا يرون في الحروب والصراعات التي عاشوها في الأندلس بمثابة اختبار يقودهم بعيدًا عن مسارهم الديني والعلمي الذي كانوا متمسكين به.

لقد كان نزوح هؤلاء العلماء إلى الجزائر فرصة لإعادة بناء ما فقدوه من معرفة. وجدت هذه الطائفة من العلماء بيئةً خصبة في الجزائر لتبادل المعرفة مع العلماء المحليين والتواصل مع المراكز التعليمية التي كانت تشهد ازدهارًا في تلك الحقبة. وقد وجدوا في الجزائر الأرض المناسبة لاستعادة مكانتهم العلمية، حيث أصبحت المدارس والمساجد بمثابة مراكز لتدريس علوم الدين والفقه والتفسير. علاوة على ذلك، أسهم هؤلاء العلماء في إثراء الساحة الثقافية والعلمية في الجزائر، وأسهموا في الحفاظ على التراث الإسلامي الأندلسي وإحيائه في بيئة جديدة.

لم يكن نزوح علماء الأندلس إلى الجزائر مجرد حدث تاريخي، بل كان تحولًا مهمًا في مسار تطور الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا. فقد شكل هؤلاء العلماء حلقة وصل حيوية بين حضارة الأندلس العريقة، التي كانت تمثل قمة الازدهار الثقافي والعلمي في أوروبا الإسلامية قبل سقوطها، وحضارة الجزائر التي كانت في طور التطور والنمو. ما أحدثه هذا النزوح من تأثير كان عميقًا، إذ لم يقتصر على تعزيز العلم والثقافة فقط، بل كان له دور في تحفيز الحركة الفكرية والدينية في الجزائر بشكل عام.

لقد حمل علماء الأندلس معهم تراثًا علميًا غنيًا ومتنوعًا في مختلف مجالات المعرفة، مثل الفقه والتفسير والفلسفة والطب والفلك. وبفضل هذه المعارف المتنوعة، استطاعوا إثراء المؤسسات العلمية الجزائرية، مثل المدارس والزوايا والمساجد، بتعليمات ومناهج جديدة أدت إلى تحسين مستوى التعليم. كما أن هذه الحركة العلمية

أسهمت في نشر الوعي الديني، حيث تمسك العلماء الأندلسيون بالقيم الدينية التي تعلموها في بيئاتهم الأصلية وحرصوا على نشرها بين أبناء الجزائر.

ومن ناحية أخرى، كان لهذه الهجرة تأثير ثقافي كبير على المجتمع الجزائري الذي كان في مرحلة انتقالية حيث أسهم العلماء الأندلسيون في نشر الأدب العربي والفكر الفلسفي الإسلامي في بيئة كانت تتطلع إلى تحقيق التقدم والازدهار. كما قاموا بترسيخ أسس العلم والتعليم التقليدي في الجزائر، حيث أصبحت المساجد والزوايا مراكز لتبادل المعرفة والعلوم. وبذلك، أصبح الموروث العلمي الأندلسي جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية الجزائرية، مما جعل الجزائر، على مدار القرون، تشهد تطورًا ملحوظًا في المجالات العلمية والفكرية.

وفي هذا السياق، أسهم العلماء الأندلسيون في بناء شبكة علمية تربط شمال إفريقيا بالأندلس والمشرق العربي، حيث انتشرت مدارس جديدة وجامعات، وأصبحت الجزائر مركزًا ثقافيًا علميًا يضاهي المراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي. وبفضل هذا التفاعل المعرفي، كانت الجزائر واحدة من الحواضر التي اجتذبت العلماء والطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، مما جعلها واحدة من أبرز المراكز العلمية التي تستقطب الدارسين في مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية.[1]

ومن جوانب التقدم أيضاً، أن المشرفين على الحركة العلمية لم يعتمدوا فقط على صدقات الحكام وهبات الأمراء بل انخرطوا بجدية في مهمة التربية والتعليم، مستغلين الموارد المتاحة والتبرعات السخية من أبناء المدينة.

عند الحديث عن الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني، يجدر بالذكر أن هذا النشاط الفكري والعلمي كان يُنظر إليه من منظور ديني بشكل رئيسي، حيث كانت المؤسسات التعليمية تركز على نقل وتدريس العلوم الدينية التي تتعلق بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والعقائد الإسلامية، وفقه الشريعة. وكما يؤكد الباحث محمد بن عبد الكريم، فإن هذا "العلم المنقول" كان يُعتبر المصدر الرئيسي للمعرفة في تلك الفترة، ويعكس فهم تقليدياً للعلم الذي كان يُحصر في المجالات الدينية.

مع ذلك، فإن الحركة العلمية في الجزائر لم تقتصر فقط على نقل المعرفة الدينية. فقد توسعت لتشمل مجموعة واسعة من العلوم الأخرى، رغم تداخل هذه العلوم مع الإطار الديني الذي كانت تحكمه الشريعة الإسلامية. فبجانب تعليم القرآن والحديث، كان هناك اهتمام بتعليم أصول الفقه وأصول العقائد، التي كانت تُعتبر من أسس التدين السليم وفهم الدين بشكل عميق.

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، ج 3، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1994، ص 206.

أما بالنسبة لفن المنطق، فقد شهدت الحركة العلمية في الجزائر جدلاً واسعاً بين العلماء. فبينما كان بعض الفقهاء يعتبرون المنطق جزءاً من الفلسفة التي لا تتماشى مع المبادئ الدينية السائدة في ذلك الوقت، كان آخرون يرون فيه أداة معرفية تُساعد في تعزيز الفهم السليم للنصوص الدينية. وقد تراوحت الآراء حول هذه المسألة بين الرفض والقبول، حيث كان المنطق يُنظر إليه باعتباره مرفوضًا من قِبل بعض العلماء الذين ربطوه بالفلسفة اليونانية التي كانت تُعتبر دخيلة على الإسلام، بينما كان آخرون يعتبرون أنه يمكن استخدامه كأداة لزيادة الفهم المنهجي في التفسير الفقهي والعلمي.

إجمالًا، كان الفهم السائد للعلم في هذه الفترة مرتبطًا بتطوير القدرة على استيعاب النصوص الدينية وتفسيره وفقًا لمناهج وأصول ثابتة. وكان هذا المنهج الفكري يشمل تعليم العلوم التي تتعلق بالشريعة والتفسير والفكر الديني، في حين كانت العلوم الأخرى، مثل المنطق والفلسفة، تخضع لنقاشات وتجاذبات فكرية في إطار المجتمع العلمي الجزائري آنذاك.[1]

يشير الورتلاني إلى أن الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تركز بشكل رئيسي على العلو الدينية، خاصةً الفقه وعلم الكلام، بينما كانت العلوم الأخرى مثل الإعراب والعلم اللغوي تُعتبر أقل أهمية. في هذ السياق، يمكن ملاحظة أن الفقه، باعتباره العلم الذي يعنى بتفسير الشريعة الإسلامية وتطبيقها، كان له الأولوي الكبرى في التعليم. فقد كان الهدف الرئيسي من التعليم في ذلك الوقت هو فهم النصوص الدينية وتفسيرها وفقً للأصول المتعارف عليها.

أما علم الكلام، الذي يتناول مناقشة قضايا العقيدة وأصول الإيمان، فقد كان من العلوم التي تلقى اهتمامً كبيرًا من قبل العلماء والطلبة على حد سواء. كان هذا العلم يُدرس باعتباره أداة لفهم وتوضيح العقيدة الإسلامي وتدعيم الإيمان من خلال الأدلة العقلية والنقلية.

وفي المقابل، لم تُعطَ العلوم اللغوية، مثل الإعراب والنحو، نفس القدر من الاهتمام في هذه الفترة. يلاحظ الورتلاني أن الناس لم يُولوا اهتمامًا كبيرًا بالإعراب كما فعلوا مع الفقه وعلم الكلام، مما يعكس التوجه العام في تلك الفترة نحو تقوية الفهم الديني بدلًا من الاهتمام بتفاصيل اللغة العربية التقليدية.[2]

منذ القدم، كانت مدينة مازونة إحدى الحواضر الثقافية الكبرى في بلاد المغرب التي اهتمت بشكل خاص بالعلوم الدينية وفروعها المتعددة. وقد كان الفقه الإسلامي حجر الزاوية الذي ارتكزت عليه جميع تلك العلوم

[1] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 46.

[2] أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران، 2013/2012ص204.

حيث شكل أساسًا لفهم الشريعة الإسلامية وتطبيقها في مختلف شؤون الحياة اليومية. وكان العلماء في مازونة يهتمون بشكل خاص بحفظ القرآن الكريم وتفسيره، بالإضافة إلى جمع الأحاديث النبوية الشريفة التي كانت تعد من المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي.

إلى جانب الفقه، ازدادت البحوث العلمية التي تناولت مسائل الأصول، وهي تلك التي تركز على قواعد التشريع الإسلامي وأصول الفقه. كانت هذه العلوم محط اهتمام عميق من قبل العلماء في المدينة، وكانوا يخصصون وقتًا طويلًا في دراستها وتدريسها للطلاب. ومن خلال هذا، حققت مازونة سمعة مرموقة كمركز علمي بارز في المنطقة.

في القرن الخامس عشر، برزت مازونة بشكل خاص في تأليف الكتب المتعلقة بمناقب الأولياء وأخلاقيات السفر. كانت هذه المؤلفات تُعنى بتوضيح سير الصالحين وحياة الأولياء، وقد ساعدت في نقل التراث الروحي والديني للمدينة. وعلى الرغم من أن التفسير كان يتطلب مستوى عميقًا من المعرفة والفهم، إلا أن الفقه والأبحاث المرتبطة به، مثل الحديث والمنطق، كانت تُعتبر أكثر سهولة وانتشارًا بين العلماء وطلاب العلم.

بهذا الشكل، استطاعت مازونة أن تكون مركزًا علميًا راسخًا في تاريخ العلم الديني في المغرب الإسلامي وهي بذلك تعكس ارتباطها الوثيق بالتراث الفقهي والديني الذي ساد في تلك الفترة.[1]

كان الحديث وعلومه في مازونة يحظى باهتمام كبير من قبل العلماء والشيوخ، حيث كانت المدينة معروفة بتدريس رواية البخاري، وهو ما كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاحتفالات الدينية والأنشطة الثقافية. وقد كان لمدينة مازونة مكانة خاصة بين الحواضر الإسلامية في مجال علوم الحديث، حيث تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء الذين تخصصوا في دراسة الحديث الشريف، وكانوا من المتميزين في مجال الفقه والفتوى على مذهب الإمام مالك .

لقد جعل هذا الوضع مدينة مازونة محط أنظار العلماء في بلاد المغرب، بحيث كانت تعتبر مركزًا علميًا حيويًا يجذب الطلاب من مختلف أنحاء المنطقة. وكان للإنتاج العلمي الكبير في العلوم الدينية، رغم نقص الإبداع والابتكار في بعض الأحيان، دور هام في تطوير الفكر الديني في المنطقة.

ومع ذلك، كانت أي محاولة للخروج عن التقليد أو تجديد الفكر تُعتبر بمثابة مغامرة خطيرة قد تؤدي إلى اتهام العلماء بتحدي السلطة أو الخروج عن المألوف. وقد استخدم هذا ضدهم في بعض الأحيان لتوريطهم في قضايا

[1] سفيان شبيرة، دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، في مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي، ع 11-12 جامعة وهران، 2013/2014، ص 186.

سياسية، مما جعل البيئة العلمية في مازونة مليئة بالتحديات والمخاطر. كانت الصراعات بين العلماء والأئمة في المدينة تشتعل بشكل دوري، وكان دور السلطة السياسية يتدخل لحل هذه النزاعات. ومن أبرز هذه التدخلات م حدث مع الخليفة عثمان الذي تدخل لفض نزاع حول مواعيد التدريس في جامع السيد عبد الحق، حيث كان هذ النزاع يؤثر بشكل مباشر على النظام التعليمي في المدينة ويعكس التوترات السياسية التي كانت تحدث في المنطقة.[1]

[1] أحمد بحري، مرجع سابق، ص209

خلاصة الفصل :

وعليه، يمكن القول إن مدرسة مازونة كانت منارة علمية أضاءت كل الغرب الجزائري وامتدت إشعاعاتها إلى حواضر المغرب الأقصى. تميزت هذه المدرسة بنظام تعليمي فريد يميزها عن المدارس الشهيرة الأخرى مثل مدارس تلمسان ومعسكر. وبفضل احتضانها لخيرة العلماء والمشايخ، أصبحت مقصدًا ومركزًا لطلاب العلم من الناحية الغربية بأكملها، ممتدة من المغرب حتى مستغانم وتنس، مرورًا بتلمسان ووهران، وذلك على مدار أكثر من أربعة قرون.

الخاتمة

من خلال دراستنا للمراكز الثقافية في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، وبالتحديد نموذجي قسنطينة و مازونة، يتضح أن هذه المراكز لعبت دورًا محوريًا في نشر العلم والثقافة في المنطقة. كانت قسنطينة و مازونة منارات للإشعاع الفكري والحضاري، حيث استقطبتا العلماء والمثقفين وطلاب العلم من مختلف الأنحاء.

لقد تميزت قسنطينة بكونها مركزًا حضاريًا مهمًا، حيث احتضنت العديد من المدارس و المكتبات، وأسهمت بشكل كبير في النهضة العلمية والثقافية. كانت هذه المدينة ملتقى للعلماء والأدباء والفنانين، مما جعلها بيئة خصبة لتبادل الأفكار والمعرفة.

أما مازونة، فقد تميزت بنظامها التعليمي الفريد واحتضانها لنخبة من العلماء والمشايخ. كانت وجهة مفضلة للطلاب من مختلف المناطق، ليس فقط في الجزائر ولكن أيضًا من المغرب الأقصى، مما جعلها مركزًا علميًا مرموقًا على مدار أكثر من أربعة قرون.

إجابة على الإشكالية التي تم طرحها في مقدمة الدراسة، والتي كانت تدور حول كيفية وضع المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة خلال العهد العثماني، وما اندرج تحتها من تساؤلات فرعية تتعلق بأهمية هذه المراكز خلال تلك الفترة وتأثيرها في تشكيل الهوية الثقافية والتاريخية لهاتين المدينتين، يمكن القول أن البحث قد أوضح دورًا حيويًا لهذه المراكز في المجتمع.

لقد تبين أن المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة كانت ذات أهمية بالغة خلال العهد العثماني، حيث كانت هذه المراكز محاور رئيسية لنشر العلم والمعرفة. في قسنطينة، شكلت المدارس والمكتبات والمعاهد الدينية بنيات تحتية متكاملة دعمت النهضة العلمية والثقافية، وجعلت من المدينة نقطة جذب للعلماء والطلاب من مختلف المناطق. كان لهذه المراكز دور كبير في الحفاظ على التراث الثقافي والعلمي وتعزيزه.

أما مازونة، فقد تميزت بنظام تعليمي فريد من نوعه واحتضانها لنخبة من العلماء والمشايخ، مما جعلها مقصدًا مفضلًا للطلاب من مناطق واسعة تمتد من المغرب الأقصى حتى مستغانم وتنس، مرورًا بتلمسان ووهران. كانت مازونة مركزًا علميًا مرموقًا لمدة تزيد عن أربعة قرون، وأسهمت بشكل كبير في تعزيز المعرفة ونقل التراث الثقافي.

من خلال هذه المراكز، تم تشكيل الهوية الثقافية والتاريخية لقسنطينة و مازونة، حيث أصبحتا مراكز للإشعاع الفكري والحضاري. كانت هذه المراكز نقاط التقاء للثقافات والتقاليد المختلفة، مما أسهم في خلق بيئة متنوعة وغنية بالتبادل الثقافي.

و باختصار، فإن المراكز الثقافية في قسنطينة و مازونة لم تكن مجرد مؤسسات تعليمية، بل كانت مكونات أساسية في نسيج المجتمع، أسهمت في بناء هوية ثقافية غنية ومعقدة، وفي تعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف الثقافات. هذا الفهم العميق لدور هذه المراكز يمكن أن يلهم الجهود الحالية والمستقبلية في بناء مؤسسات ثقافية وتعليمية تسهم في نهضة مجتمعاتنا وتعزيز التعايش السلمي.

تلقي هذه الدراسة الضوء على الأهمية البالغة لهذه المراكز الثقافية في الحفاظ على التراث العلمي والثقافي للمنطقة، كما تبرز دورها في تعزيز التبادل الثقافي والعلمي بين مختلف الشعوب. إن فهمنا لدور هذه المراكز يمكن أن يقدم لنا دروسًا قيمة في كيفية بناء وتطوير المؤسسات الثقافية والتعليمية في مجتمعاتنا المعاصرة لتعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف الثقافات.

الملاحق

الملحق1: خريطة قسنطينة في العهد العثماني.[147]

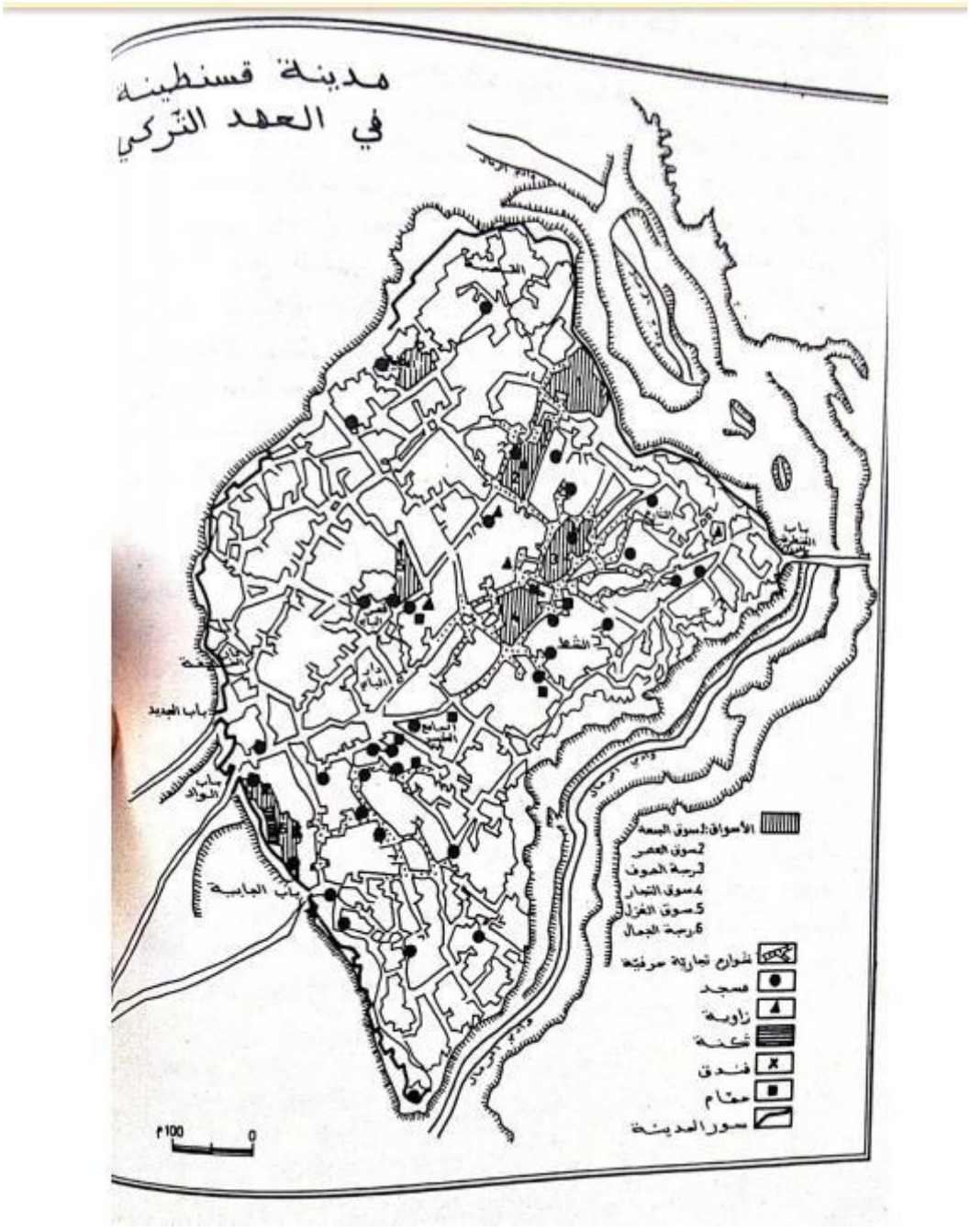

[147] محمد الهادي لعروق :مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1984 ،ص 84.

الملحق2: جوانب من مسجد سيدي الكتاني.[148]

الملحق 3: مدرسة مازونة في العهد العثماني.[149]

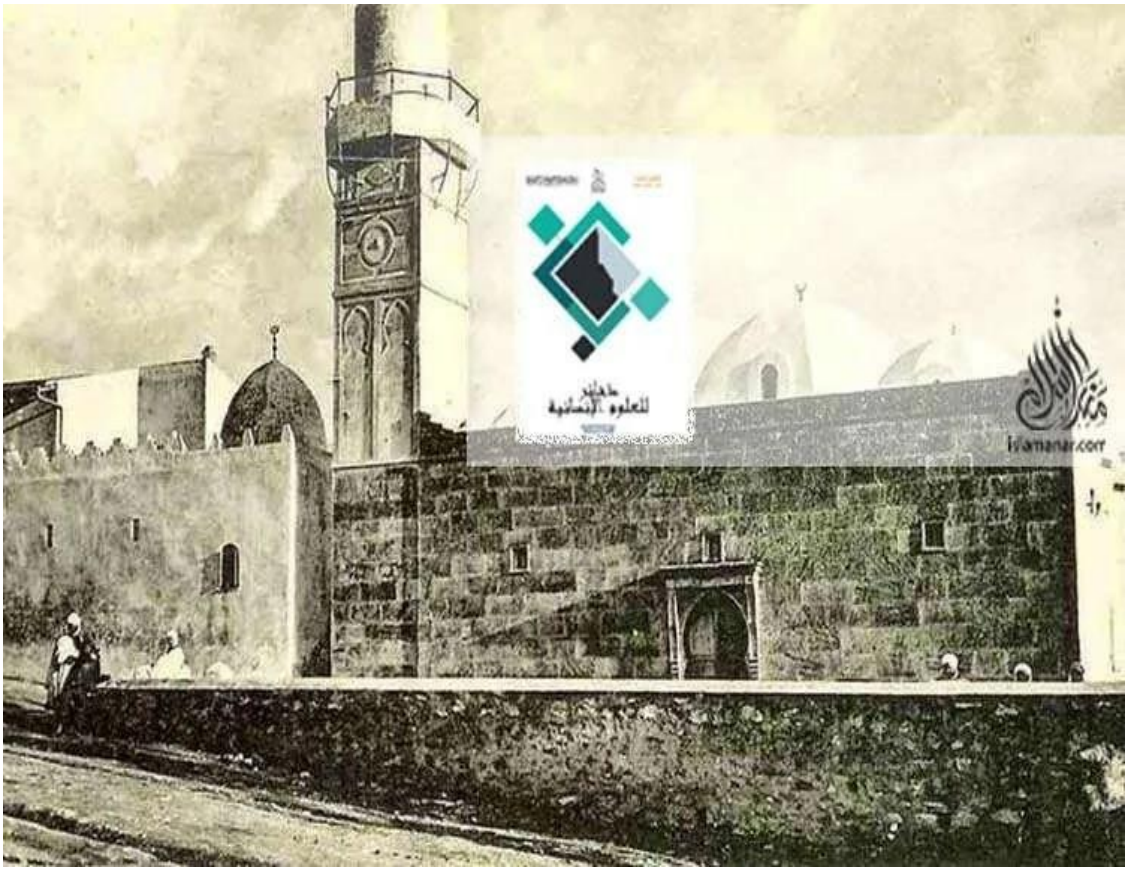

[148] قاصري، محمد السعيد. "المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان." *عصور الجديدة*، العدد 18، عدد خاص بقسنطينة، صيف (أوت) 1436هـ/2015م، ص170.

[149] ميلود ميسوم، **مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية"**، مذكرة ماجيستر في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2003 ، ص08

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- بحري أحمد، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900، اطروحة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012، ص204.
- توفيق المدني أحمد، الجزائر، د. س. ن.، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص231.
- نوشي أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 247.
- البايلك في العهد العثماني، كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"، لمحمد بن عبد القادر الجزائري، الجزء الأول، مطبعة التجارية، القاهرة، 1903، ص 15.
- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط.، 1397هـ-1977م، ص67.
- تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة بايات الشرق في الجزائر، نسخة محفوظة 22 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.
- بورويبة رشيد، قسنطينة، ط2، 2013م، ص 53.
- دحدوح عبد القادر، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، ط 1، نوميديا للطباعة والنشر، 2015م، ص81.
- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط 5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996م، ص121.
- الجيلالي عبد الرحمان، ج 3، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1994، ص 206.
- بن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 46.

- المهدي محمد بن علي شيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، 1980، ص170.
- غربي كمال، المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية، تلمسان، 2011م، ص 57.
- لغربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص123.
- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، ص82.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ط2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2013م، ص20.

المجلات والمقالات:

- بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية الثقافية، مقال مجلة العصر، ص08.
- شوقي عطاء الله الجمل، أضواء جديدة على تاريخ قسنطينة، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1974م، العدد 03، ص 80.
- شبيرة سفيان، دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد 11-12، 1435هـ/2014م، ص 186.
- مجلة بوليكرومي، ص15.

الأطروحات والرسائل:

- بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، مخطوط رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002-2003م، ص 29.
- سعودي يمينة، رسالة ماجستير في الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، كلية الآداب واللغات، جامعة الأخوة منتوري بقسنطينة، 2005-2006م، ص25.

المراجع المحفوظة على مواقع الإنترنت:

- جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)،

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم سعودي يمينة، نسخة محفوظة 22 مايو 2012 على موقع واي باك مشين.

- تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة بايات الشرق في الجزائر، نسخة محفوظة 22 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

فهرس المحتويات

الرقم	المحتويات	الصفحة
01	الاهداء	05
02	الشكر و العرفان	06
03	قائمة المختصرات	07
04	المقدمة	08
	الفصل الاول : المراكز الثقافية في قسنطينة	
06	تاريخ قسنطينة العثمانية	18
07	المراكز الثقافية في قسنطينة العثمانية	22
08	الأثر الثقافي للمراكز الثقافية في قسنطينة العثمانية	42
	الفصل الثاني: المراكز الثقافية في مازونة.	
11	تاريخ مازونة العثمانية	50
12	المراكز الثقافية في مازونة العثمانية	56
13	تحليل الأثر الثقافي لهذه المراكز الثقافية في مازونة العثمانية	57
	الخاتمة	
16	الملاحق	82
17	قائمة المصادر و المراجع	85
18	فهرس المحتويات	90
19	الملخص	91

الملخص باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور المراكز الثقافية في إيالة الجزائر العثمانية من خلال دراسة حالتي قسنطينة و مازونة. خلال الفترة العثمانية، شهدت الجزائر تطوراً ملحوظاً في العديد من المجالات الثقافية، وكانت مدينتا قسنطينة و مازونة من أبرز المراكز التي ساهمت في إثراء الحياة الثقافية والعلمية.

الكلمات المفتاحية : المراكز الثقافية، قسنطينة ،مازونة، الجزائر، العهد العثماني.

Résumé en français:

Cette étude vise à mettre en lumière le rôle des centres culturels dans la régence l'Alger sous l'Empire ottoman à travers les cas de Constantine et Mazouna. Pendant la période ottomane, l'Algérie a connu un développement notable dans divers domaines culturels, et les villes de Constantine et Mazouna étaient parmi les centres les plus importants qui ont contribué à enrichir la vie culturelle et scientifique.

Mots-clés : centres culturels, Constantine, Mazouna, Algérie, période ottomane.

Summary in English:

This study aims to highlight the role of cultural centers in the Ottoman Regency of Algiers by examining the cases of Constantine and Mazouna. During the Ottoman period, Algeria witnessed significant development in various cultural fields, and the cities of Constantine and Mazouna were among the most prominent centers that contributed to enriching cultural and scientific life.

Keywords: cultural centers, Constantine, Mazouna, Algeria, Ottoman period.